



علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس
أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي

الأستاذ عميراوي احميدة
دكتور دولة في التاريخ الحديث

علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس

أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي

الأستاذ عميراوي احميده

دكتور دولة في التاريخ الحديث



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بدار البعث ـ قسنطينة



○. كتب وسحب هذا العمل على P.C المؤلفُ نفسه.

○. تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ﷻ: وإن أحَدٌ من المشركين استجارَكَ فأجِرْهُ حتّى يسمَعَ كلامَ الله ثمَّ أبلِغْهُ مأمَنَهُ ذلك بأنهم قومٌ لا يعلَمون

التوبة آية 6

الإهداء.

إلى كل من ساهم في مدّ جسور التواصل بين الشعوب العربية

لتعيش الجزائر في أمان..

إلى راشة ملاك

الثلاثاء 24 شوال 1422 هـ

8 جانفي 2002 م

الدكتور عميراوي احميده

مختصرات مستعملة

◊ A.M.G. = Archives du ministère de la Guerre à Vincennes
◊ A.O.M. = Archives d'Outre - mer à Aix-en-Provence
◊ A.N.T. = Archives Nationales tunisiennes
◊ C.E.R.M. = Centre d'étude et de recherches marxistes
◊ R.A. = Revue africaine
◊ R.H.M. = Revue d'Histoire maghrébine

◊ ش. و. ن. ت. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

مفاهيم محلية مستعملة

• **أرض بايلك:** أرض الباي أو الداي.
• **أرض بور:** أرض سائبة غير محروثة ومنها أرض موات.
• **الحضر:** أعيان المدن الأصليين.
• **خاطر:** أناس، أفراد.
• **جابدة:** ويقال لها زويجة، أي محراث يجرّه ثوران أو المساحة التي يزرعانها.
• **الجبري:** ضريبة تدفع في الشرق الجزائري وتسمّى في الجزائر والوسط باللزمة.
• **الراي:** الملك (Le roi).
• **زواوة:** قبيلة في جرجرة ومنها تأسست فرق في الصف العثماني والفرنسي.
• **شيعة:** نيشان، وسام.
• **الغرامة:** نوع من الضريبة.
• **قسيان:** ضابط.
• **اللزمة:** ضريبة يدفعها الخلفاء "كل ستة أشهر" للبايات وبعدها للداي.
• **قبائل المخزن:** معناه في الجزائر قبائل موالية من أهل البلاد، يختلف عن معناها في المغرب الأقصى الذي هو: الحاكم. وعن معناها في المشرق الذي هو القبائل الأجنبية الموالية. والمعروف بصفة عامة في المغرب كله فهو البايلك أو الحاكم.
• **المحلّة:** فرقة من الجيش تخرج فصليا لتساعد القادة على جمع الضرائب.
• **المزبور:** المذكور
• **النوبة:** فرقة عسكرية مرابطة في المدينة.
• **النّعمة:** الحبوب، المئونة.
• **هوير:** مجموعة من البغال والأحصنة وتعني في الغالب حيوانات البايلك.

كلمة افتتاحية

عرفت العلاقات بين الجزائر والبلدان الشقيقة وبخاصة منها تونس والمغرب مواقف متميزة كان من أهمها التآزر والتعاضد. ويكفي القول إن الثورة التحريرية الجزائرية نجحت بفعل عوامل كثيرة كان في مقدمتها السند المغاربي الذي تمتد جذوره إلى الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها؛ أي، منذ بداية الاحتلال الفرنسي. ففي عهد الثورة كانت للجزائر مراكز قوة إعلامية كالإذاعة والصحافة وغيرها. واقتصادية حيث كانت الموارد المالية تفد إلى داخل الجزائر من المهاجرين الجزائريين دون توقف. وبشرية؛ حيث تجند أبناء الجزائر المهاجرين بمعية أبناء كل من تونس والمغرب في صف جيش التحرير. لهذا كان هدفي أن أقدم عملا تاريخيا في جزئين. الأول يتحدث عن علاقات الشرق الجزائري بتونس منذ العهد العثماني. والثاني عن علاقات الغرب الجزائري بالمغرب الأقصى.

وإن كان ولا بد من توجيه الشكر إلى كل من قدم لنا مساعدة فهو لكثير من الباحثين ونذكر منهم الدكتور يحي بوعزيز والأستاذ ناصر لوحيشي.

قسنطينة يوم الثلاثاء 24 شوال 1422 هـ

الموافق 8 جانفي 2002 م

المؤلف

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور يحي بوعزيز- جامعة وهران

بلدان إفريقيا الشمالية الغربية أو المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب الأقصى تمثل منطقة جغرافية ومناخية وعرقية بشرية واحدة منذ فجر التاريخ، توالت عليها هجرات بشرية متعددة لم تؤثر فيها كثيرا رغم أنها كونت بها دولا عديدة، بدءا بالقرطاجيين فالرومان والوندال والبيزنطيين وأخيرا العرب المسلمين الفاتحين الذين متنوا الصلات والوشائج العرقية والدينية واللغوية والثقافية بفضل العقيدة الإسلامية السمحاء واللغة العربية وفي ظل الإسلام والعقيدة الإسلامية شهد لإقليم عدة دول تداولت السلطة والحكم والولاية ففي صدر الفتح الإسلامي كانت القيروان عاصمة لكل بلدان الإقليم ولبلاد الأندلس في جنوب غرب أوروبا .وفي عهد الفاطميين والأسرة الزيرية تمتنت العلاقة بين الجزائر وتونس كما تمتنت بعد ذلك في عهد دولة عبد المؤمن الموحدية، وازدادت متانة على عهد بني حفص الذين حكموا تونس وبجاية وقسنطينة وعنابة في الجزائر .غير أنه في عهد الأتراك العثمانيين ابتداء من القرن 16 بدأ الصراع بين النظامين التركيين في كل من الجزائر وتونس، وظهرت مشاكل كثيرة مصدرها الأساسي رغبة كل طرف في الانفراد بالسلطة والنفوذ على غيره ولكن السكان في كلا البلدين حافظوا على

وشائج القربى والنسب والجوار، والماضي المشترك والمصالح المشتركة، والعوائد الموروثة، التي تجمعهم عبر التاريخ، ولم ينساقوا أبدا وراء دعاة الفرقة، والتشنج، والصراعات العرقية والطائفية والجهوية .

وبقي الأمر هكذا إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 فركز سياسته على تطبيق شعار "فرق تسد" وسعى لإحداث مشاكل، وصراعات بين الشعبين الشقيقين المتماسكين المتجاورين: الجزائري والتونسي، ومارس هذه السياسة القذرة طوال إحدى وخمسين عاما إلى أن تمكن من احتلال تونس كذلك عام 1881.

ويشكل بحث العلاقة ما بين سكان إقليم قسنطينة الشرقي وسكان إقليم تونس الغربي المجاورين موضوعا مهما للبحث والدراسة انطلاقا من الرسائل والتقارير، والدراسات التي تزخر بها دور الأرشيفات وهو ما قام به الأستاذ الفاضل الدكتور حميدة عميراوي عبر المحاور الخمسة الآتية:

1 – أوضاع الجزائر وتونس أواخر العهد العثماني وكانت تابعتين للدولة العثمانية منذ مطلع القرن 16 بالنسبة للجزائر، وفي الثلث الأخير من القرن بالنسبة لتونس، ولكن علاقاتها السياسية مع الدولة العثمانية كانت رمزية وشكلية واسمية منذ النصف الثاني من القرن17.

فالجزائر أصبحت شبه مستقلة منذ عهد الدايات عام 1671، واكتفى داياتها بذكر اسم السلطان العثماني في خطب الجمعة والأعياد، ورسم اسمه على العملة، وإرسال بعض الهدايا الدورية له، ونجدته عسكريا عندما تتعرض قواته

العسكرية لضغوط وصعوبات من طرف دول أوروبا الوسطى والشرقية التي تعاديه وتتربص بدولته الدوائر كلما وجدت الفرصة لذلك.

وقت عهد الدايات: شعبان باشا (1689–1695) ومحمد عثمان باشا (1766 — 1791) وحسن باشا (1791 — 1798) من أبرز فترات الاستقلال للجزائر العثمانية التي عاشت عهد قوة داخليا، ومع جيرانها الأشقاء، وبلدان أوروبا الأخرى وعلى رأسها إسبانيا وفرنسا والدانمارك وبريطانيا وغيرها.

أما تونس فقد مارست هذا الاستقلال عن الدولة العثمانية متأخرة عن الجزائر، في مطلع القرن 18 م عندما قامت الأسرة الحسينية ابتداء من عام 1705. واتضح ذلك بصورة خاصة في عهد الباي حمودة باشا (1782 — 1814) المعاصر للداي محمد عثمان باشا في الجزائر. والسلطان محمد بن عبد الله في المغرب الأقصى.

2 — العلاقات الجزائرية التونسية قبل عام 1830. وكان أتراك الجزائر هم الذين حرروا تونس من الاحتلال الإسباني عام 1574، وألحقوها بالدولة العثمانية على غرار الجزائر، وطرابلس، مع تبعيتها لهم فيما يخص دفع الإتاوات واختيار من يحكمها من الدايات عندما يشغر المنصب، وبقي الأمر هكذا حتى عام 1590، ثم تمرد مجلس الأوجاق ورفض هذه التبعية للجزائر وإلحاق البلاد بالدولة العثمانية رأسا.

مقدمة

تبحث العلاقات التونسية ـ الجزائرية أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال المواقف الرسمية التي التزم بها كل من باي قسنطينة والأمير عبد القادر تجاه نظيرهما باي تونس.

وكذلك من خلال العلاقات الاجتماعية بمختلف صورها التي سادت بين الشعبين. مثلما تبحث في ضوء السياسة الخارجية لكبريات الدول وبخاصة منها العثمانية والفرنسية تجاه ولايات المغرب العربي.

وبدراسة هذه العلاقات التونسية ـ الجزائرية يمكن التعرف على مراحل تاريخية هامة من السياسة الفرنسية في الجزائر. وعن بدايتها في تونس. كما يمكن التعرف على جوانب من مراحل الجهاد "المقاومة" في قطاع الشرق الجزائري وفي جزء من الغرب التونسي.

والهدف من دراسة هذه العلاقات هو إبراز التفاعلات ووجوه التقارب والتكامل والتباعد التي طبعت العلاقات بين الولايتين. وكذلك إبراز النيات الاستعمارية الاستيطانية التي خططت للاستيلاء على مناطق البلاد المغاربية.

وسنحاول أيضا إبراز الدعم القوي من العمق التونسي الذي ساعد الجهاد/المقاومة في الجزائر. وإبراز التباين والاختلاف بين النظامين بالولايتين. والعوامل التي أدّت إلى إضعاف القوة الحربية بهما، الأمر الذي سهل على

فرنسا تطبيق سياستها التوسعية في الشرق الجزائري وفي الغرب التونسي.

ومن الأهداف التي نتوخاها من تقديم هذا العمل إضافة بعض المعلومات إلى ما تفضل به بعض الباحثين الكبار ومنهم فضيلة الأستاذ التميمي عبد الجليل حين تعرض للعلاقات بين باي بايلك الشرق الجزائري وباي تونس بصفحات موثقة (ص.81-92) في أطروحته دكتوراه الدولة بعنوان "**بايلك قسنطينة والحاج أحمد باي**".

ومن الأهداف أيضا تقديم مجموعة من الوثائق الهامة المنتقاة أعرضها مثلما هي في قسم الملاحق لتكون أداة بين أيدي الدارسين كمادة خبرية مصدرية عالية القيمة.

فهذا العمل إذن، هو دراسة أكاديمية حاولت من خلاله مساءلة الواقع التاريخي. مع التذكير إن ما أقدمه هو إثراء لفصل من فصول أطروحة نلت بها شهادة دكتوراه الدولة وعنوانها "**السياسة الفرنسية والمقاومة الوطنية في الشرق الجزائري 1830-1858**".

وفضلنا أن يكون الحديث عن هذه العلاقات الجزائرية-التونسية من خلال النقاط الآتية:

أولا

وضع الجزائر وتونس أواخر الفترة العثمانية.

ثانيا

من العلاقات التونسية-الجزائرية قبل 1830.

ثالثا

موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

رابعا

علاقة الجهاد الجزائري بنظام الحكم في تونس.

خامسا

علاقة رجال الاحتلال الفرنسي بنظام الحكم في تونس.

أولا: وضع الشرق الجزائري وتونس أواخر الفترة العثمانية

يتفرد إقليم الشرق الجزائري بمميزات جعلته أهم مقاطعة في الجزائر. مثلما أهلته كي يحظى باهتمام النظام العثماني والنظام التونسي. فهو يمتاز بحدود مفتوحة على الغرب التونسي. مثلما كان محلّ اهتمام كبير من طرف الأنظمة الأوروبية. يتشكل سكانه من هرم اجتماعي كبير قاعدته القبائل والأسر الموسعة التي كان بعضها يتوطن على التخوم الجزائرية والتونسية.

وكانت علاقات الشرق الجزائري الخارجية محورية في تفسير بعض المواقف الرسمية والشعبية. ويمكن عرضها في علاقات سياسية واقتصادية مع أطراف أوروبية، ومع السلطة العثمانية والبلد المجاور تونس.

وكانت علاقات الشرق الجزائري بفرنسا قديمة. إذ يعود اهتمام الحكومة الفرنسية بالجزائر إلى عهد شارل التاسع الذي طلب من الباب العالي الحصول على الجزائر مقابل مبلغ معتبر من مال. وفي مرحلة أخرى حصلت فرنسا عام 1561 على امتيازات صيد المرجان بالساحل الشمالي للشرق الجزائري[1]

وكانت الصادرات الفرنسية إلى الشرق الجزائري كبيرة، مثلما كانت واردها كثيرة من شمال الجزائر؛ حيث كانت أثناء مرحلة الثورة بها تتزود بما

...صلاح العقاد، المغرب العربي، ط. 3، مكتبة الأنجلو – المصرية، ص 44-45.
وكانت فرنسا تتدخل لدى الباب العالي لتعمل على تغيير نظام الحكم في الجزائر. ينظر

2- Grammont (H de), Histoire de l'Algérie sous la domination Turque (1516-1830), Ernest, L. Paris 1887, p. 100.

تحتاجه من حبوب ومواد ضرورية.

وكان نابليون بونابرت اهتمام خاص بولايات الشمال الإفريقي إلى درجة أنه كان يطمح في السيطرة عليها. وترجم نابليون هذا الاهتمام بأن كلف أخاه جيروم عام 1805 القيام بحملة عسكرية ضد الجزائر والتي تمكنت من إطلاق سراح 231 أسيرا مقابل مبلغ قدره 80000 فرنك[1]. .

وكان تاليرون (Talleyrant) من جهته دعا إلى ضرورة التدخل للقضاء على نشاط الأسطول البحري لولايات "المغرب العربي"[2] وترجم نابليون اهتمامه بالجزائر بل إصراره على احتلالها حين كلف الضابط بوتان (Boutin) القيام بمهمة تجسس قصد إعداد تقرير حول ما يلزم من ترتيبات لاحتلال الجزائر وتمكن هذا الأخير من تقديم دراسة وافية كانت على مكتب نابليون جاهزة للتنفيذ[3]

كان اهتمام نابليون بالشرق الجزائري محكوما إلى اعتبار أنها كانت من الأسواق الهامة التي بإمكانها أن تساعد على تطوير الصناعة الفرنسية، زيادة

1 -أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص. 21

2 - Julien (CH.), Hist. de l'Algérie contemporaine, P U F Paris 1964 p. 22

3 -تولى بوتان مهمات سرية لصالح فرنسا كانت إلى كل من اسطمبول عام 1807، وإلى الجزائر عام 1808، حيث تمكن من معرفة قوة الجيش العثماني الذي قدره بـ 60000 محارب وأكد أنها لا يمكن أن تجمع في أقل من شهر، زيادة على معرفته بدقة لوضع داي الجزائر ثم قام بعدها بمهمة في تونس ثم في مصر حيث قتل فيها عام 1813 للمزيد يراجع: رشاد الإمام؛ سياسة حمودة باشا في تونس(1782 - 1814)؛ منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980، ص 32

Nettement (A.), Histoire de la conquête d'Alger, le coffre, J Paris 1856, p-p. 12-13.

على أنها تعدّ من أقوى الحصون التي تمكنه من منافسة بريطانيا في حوض البحر المتوسط.

في هذا الوقت الذي تنشط فيه السياسة الفرنسية لتوسيع نفوذها عرفت العلاقات بين الجزائر والباب العالي نوعا من الفتور الذي يمكن التحدث عنه باختصار فيما يلي:

كانت نهاية العلاقات بين ولاية الجزائر أواخر الفترة العثمانية متميزة عما كانت عليه في البداية. إذ كانت قبل سقوط الجزائر تتأرجح بين القوة والضعف. ففي البداية لم يكن نظام الحكم في الجزائر منفصلا تماما عن الباب العالي رغم مرحلة الضعف التي عرفها هذا الأخير. بل استمر النظام في الجزائر يؤازر الباب العالي في مواجهاته للقوى الأوروبية ويمده بمساعدات متعددة.

ولعل هذه المؤازرة من الداي تفسر ولاء الحاج أحمد باي قسنطينة فيما بعد للسلطان العثماني. وكيفما كانت هذه العلاقات فإن أثرها كان مباشرا فيما استجد من أحداث في الشرق الجزائري والغرب التونسي.

وكان للطرقية –من جانب آخر- دور هام في ما ساد من علاقات لإقامتها لتوازن اجتماعي بإقليم الشرق الجزائري، موازاة مع مكانة الأرض التي كانت تمثل أكثر من رمز،

الحدود (التخوم)

على الرغم أن الدارسين في القانون الدولي تناولوا موضوع الحدود وأثرها في العلاقات بين الشعوب لكنهم لم يتحدثوا عن الحدود الجزائرية – التونسية أو الجزائرية – الطرابلسية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، باستثناء الإشارات التي جاءت في بعض الدراسات، مثلاً في ما كتبه محمد عدوي حسين ربط حدود الجزائرية الشرقية بمواطن وحركة تنقل القبائل[1].

وسبق لكثير من الدارسين والرحالة أن حاولوا تعيين حدود هذا الإقليم، حيث وضع الدكتور شو (Shaw) خلال القرن 18 خريطة ووضّح عليها معالمه وحدد بها حسب قوله حدود بايلك الشرق ومن خلالها يتبين أن هذا الإقليم كان يمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة 58 فرسخا (232 كلم) ومن الشرق إلى الغرب على مسافة 95 فرسخا (380 كلم) وقال بأن نهر بوبرك الذي يصب في بحر دلس هو الحد الفاصل من الشمال لبايلك الشرق عن دار السلطان أي الجزائر العاصمة[2].

في حين قال بايسونال (Peyssonne.) الذي زار الجزائر خلال عامي 1724

---

1 – لمزيد من التعرف على هذا الموضوع يراجع كلٌّ من
• Bedjaoui (Md), La revolution algérienne et le droit, Edit De l'association internationale des juristes démocrates, Bruxelles 1961
• Boualem Bouguetaia, Les frontières méridionales de l'Algérie S.N.E.D. Alger 1981

2 Shaw (docteur), Voyage dans la Régence d'Alger, tra. De l'anglais par Mac Carthy. Paris 1830

و1725 إن أطراف البايلك تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 100 ميلا (حوالي 185 كلم).

وفي رأي ابن أبي دينار أن الحدود بين الجزائر وتونس تحددت عام 1614 و1628 بمعاهدة جعلت وادي صرات الحد الفاصل[2].

ومهما يكن من محاولة لتعيين هذه الحدود خلال القرن الثامن عشر فهي لم تعرف الثبات والاستمرار. ولعل هذا ما دفع نوشي إلى وصفها بالحدود غير الثابتة[3]، أو ما يمكن أن نعبر عنه بالحدود البشرية بدل الحدود السياسية، وفقا للوضع الاجتماعي السائد.

نعبر عنها هكذا رغم التأكيد الذي جاء سواء في مراسلة الحاج أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا حاكم تونس أم في ردّ هذا الأخير الذي يفهم منه أن الحدود كانت معينة وثابتة، إذ قال أحمد باي: **إن ورغة قد تعدّى الحد الفاصل بيننا وبين الحنانشة وهذا السبب يوقع بينهم الفساد وإن شئت فابعث من يقف على الحد المعروف والرسم الفاصل المألوف**[4]. وجاء الرّد

---

1 Peyssonnel. et. Desfontaines. Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger Gide, Paris 1838, P-P 292-293.

2 ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد الشمام، مكتبة العتيقة، تونس 1961، ص 184 ومن المصادر التي تحدثت عن أرض تونس ولم تعين حدودها الغربية نذكر محمد بيرم الخامس، المعطر التونسي في صفوة الاعتبار، تحقيق علي الشنوفي، بيت الحكمة، تونس 1983

3- Noushi (A.), Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquete jusqu'a 1919, Paris 1961, p 15

4 المراسلة في تاريخ 24 رمضان 1242هـ / 1826 م Cart.223 dossier. 384 -A.N.T

على لسان مصطفى باي تونس هكذا: "وقوله إن ورغة قد تجاوز الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا لم نتجاوزه ولا زلنا باقين على حده وهنا نحن موجهون من له خبرة وبصارة بأرضهم وحدودها فإذا وجدهم قد تجاوز حدهم ولو قدر فإنا نرجعه ونحكم فيهم"[1].

وكانت حدود الجنوب الجزائري - التونسي محل نزاع بين سكان المنطقة، من ذلك حسب رأي فيرو شارل أن سكان وادي سوف كانوا يعتبرون مدينة نفطة ملكا لهم[2].

وكانت قضية الحدود أو التخوم الفاصلة بين التشكيلات الاجتماعية الجزائرية والتونسية من أهم العوامل التي أثرت في العلاقات الرسمية والشعبية بين البلدين، سواء أثناء الحكم العثماني أم خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي[3].

وتبقى الحدود من القضايا التي استمرت موضع خلاف مثلما استمرت وسيلة تقارب وتبادل المصالح بين الأنظمة والأعراش ومسلك محل تضارب في آراء الدارسين.

- ينظر: ملحق رقم 1. ويفهم من رسالة حمودة باشا (1228هـ/1813م) إلى فروع القبائل المتوطنة على الحدود أن معالم ترابية كانت محددة. ينظر: A.N.T. doss. 229, cart.212.

1- رسالة مصطفى باي لأخيه حسين باشا في 12 رجب 1243، المصدر نفسه ينظر ملحق رقم 2

2) Feraud (Ch.), « Notes historiques sur la province de Constantine. Les Ben-Djellab, Sultans de Touggurt », in R.A. 1882, p-p. 361-386

3 – لمزيد من المعلومات يرجع

• A.N.T. dossiers 230, 232, 239, cart.212, et, dossier 248, cart. 213

وعن مشاكل هذه الحدود التي وقعت بعد احتلال الجزائر يراجع

• A.O.M. F80/1697, 1H14

ويفترض أن يكون الحد أو التخمُ خطاً مرسوماً يحدد وجود مجال سياسي معين. على هذا الافتراض تكون الحدود شكلا من أشكال الممارسة السياسية وقد أثير اختلاف كبير عبر مراحل تاريخه وعلى مختلف معاني لفظ الحدود، ففي العصر الوسيط كانت تعني التنظيمات مبنية على العلاقات الشخصية أكثر مما كانت مبنية على العلاقات الاجتماعية والسياسية.

وبظهور الدولة الحديثة عرفت الحدود تطورات في الأحداث والتصورات باستعمال المدلول الخطي حيث صار الحد ذا طبيعة إقليمية ومظهر للسيادة. وصارت الحدود تؤدي وظائف كثيرة نذكر أربعة منها وهي: الوظيفة القانونية وتتمثل في سيطرة مجموعة من المؤسسات والأشخاص داخل مجال محدود كالدولة. والوظيفة الثانية مالية كفرض الضرائب على المنتجات الأجنبية وحماية السوق المحلية. والثالثة وظيفة الرقابة كأن تتولى السلطة رقابة الناس وأموالهم ومواطن تواجدهم. والرابعة عسكرية سياسية كفرض سيادة الحاكم على إقليم معيّن[1].

ورغم ظهور هذا المقياس الخطي وتصور القانونيين إلا أن موضوع الحدود ما زال محل خلاف. وظلّ أيضا تحديده ورسمهُ هشّاً على أرض الواقع، فتعددت الحدود وتشابكت، فصار منها ما توصف بالحدود الطبيعية (أنهار وجبال)، وأخرى بالحدود السياسية (دولة وإمبراطورية) وغيرها بالحدود القومية (لغة جنس ودين).

1 - كلود رافستان، "عناصر لنظرية في الحدود"، ديوجين، العدد 78، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة 1988، ص 13.

وبرغم وجود هذا الاختلاف تبقى الحدود ترجمة للسلطة ومجالا للسيادة ومظهرا لتنظيم للداخلي وللعلاقات السياسية والاجتماعية بين الشعوب والمجتمعات.

وبناء على هذا فحدود إقليم قسنطينة لم تكن ثابتة ومرسومة، لهذا كانت خاصة قبل عام 1628- موضع خلاف بين نظامي البايات في كل من تونس والجزائر. وإن التخوم بين هذين النظامين كانت محدّده بشريا أكثر مما كانت محددة سياسيا، فأوطان القبائل والعشائر الموالية والخاضعة لهذا النظام أو لذاك تعدّ ضمن مجال السيادة لهذا النظام أو لذاك. فالولاء الذي لم يكن ثابتا دائما لنظام حكم واحد كان أحد العوامل التي منعت رسم الحدود بين الإيالتين.

وكان بايلك الشرق الجزائري يمتدّ إلى وادي صرات، حيث يلتقي بوادي مرجانة. ولا يعني هذا أن مجال السيادة العثمانية في هذا الإقليم كان يمتد إلى كامل هذه الرقعة، بل، كانت مواطن كثيرة غير خاضعة للسلطة المركزية بمدينة قسنطينة.

وعن سكان الشرق الجزائري يمكن القول إنه برغم أن الدراسات التاريخية التي تحدثت عن سكان الإقليم قليلة إلاّ أن فيها مبالغةً حيث ذهب دي بيليسيي (De Pelissier) إلى القول: إن عدد سكان الشرق الجزائري في

أواخر العهد العثماني بلغ المليون ونصف المليون نسمة[1] في حين قال حسونه الدعيس: إن عدد سكان الشرق الجزائري يبلغ أربعة ملايين وثمانمائة ألف نسمة[2] بينما ذهب ياكونو (Yacono) إلى القول: إن عدد سكان الجزائر كلها لم يتعدّ ثلاثة ملايين نسمة[3] على خلاف حمدان خوجة الذي قال: إن سكان الجزائر كلها بلغ عشرة ملايين نسمة[4]. ومن خلال هذه الأقوال المذكورة توصل التميمي عبد الجليل إلى أن تعداد سكان الشرق الجزائري يبلغ ستة ملايين وثمانمائة ألف نسمة. وهي الأقوال التي تأكد من خلالها المبالغة مثلما قال عبد الجليل نفسه[5]. وبدلاً من ذلك توصل التميمي ببحثه إلى نتيجة هامة ونراها مطابقة للوضع آنذاك وهي أن عدد سكان الشرق الجزائري كان حوالي مليون ومائة وواحد وثلاثين ألف نسمة[6].

وهو العدد الموزع على سكان الريف والمدينة معا. وكانت كبريات المدن لا يسكن في أحدها أكثر من 45 ألف نسمة. وفي رأي نوشي (Noushi)[7]

1- Pellissier (R. de), Annales algériennes, t. 3, Dumaine, Paris 1854, p-p. 288-289

2- Temimi (A.), Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), R.H.M. Tunisie 1978, 57

3- Yacono (X.)."Peut-on évaluer la population de l'Algérie vers 1830", in, R.A. année 1954, p-p. 277-307

4- Hamdan (B. O. K.), Le Miroir, traduit de l'Arabe par H.D. Goetschy, Paris 1833. p 320.

5- Le Beylik, op.cit. p-p. 56-57

6- Le Beylik ،المرجع نفسه، ص 58

7 Noushi (A.), Sur le féodalisme, Cahier du C.E.R.M. éd. sociale, 1974 P. 82

يكون عدد سكان مدينة لا يتعدى نسبة ما بين 10% و 20% وكان أيضا مبنيا على رأي أحد معاصرين لأواخر العهد العثماني[1] في الوقت الذي ذهب فيه سعيدوني إلى القول "في حين لم يتجاوز سكان المدن والحواضر (في الجزائر عامة) في أحسن الأحوال 6%"[2] بينما ذهب بعض الدارسين إلى اعتبار نسبة 9 إلى 10% هي نسبة سكان مدن الجزائر كلها[3] وهي النسبة التي تبدو منطقية في ذلك العهد، والتي على أساسها يكون عدد سكان الريف في الشرق الجزائري حوالي مليون نسمة في حين يكون سكان عاصمة الشرقية قسنطينة لا يقل عن 30 ألف نسمة وإن كان ريمون (Raymond, A) قد رجّح أن يكون عدد سكان مدينة قسنطينة قبل احتلالها 25000 نسمة[4].

كانت القبيلة بنوعيها الزراعية والرعوية، مستقرة ومتنقلة الأساس الثاني بعد الأرض للحياة الاجتماعية في الشرق الجزائري بل إن الأرض والقبيلة والأسرة كانت كلها الأسس السائدة والمحددة لمصير المنطقة. كانت القبائل

---

1 - تقرير كاس بي إلى السلطان العثماني في جوان 1836 (نقلا عن Le Beylik, p 57)
2 - سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ص 97
3 - ينظر ابن أشنهو عبد اللطيف، تكوين التخلف في الجزائر ش و ... الجزائر 1979 ص 40
4 - ينظر:
• Raymond (A.), «Les caractéristiques d'une ville arabe moyenne» au 18e siècle : le cas de Constantine », C.T no137-138, Faculté des lettres et sciences humaines Tunis 1986, p-p. 175-195

وفروعها تشكل معظم سكان الشرق الجزائري وقد وصل عدد الفروع هذه المقاطعة حسب بعض المصادر إلى 250 قبيلة أو عشيرة[1] يتوطنون كلهم في الجبال والسهول، وهم أكثر الناس ارتباطا بالأرض وأكثر قوة ومنعة بفعل حصانتهم بالجبال الوعرة المسالك وامتهانهم الحروب.

فالأساس الهرمي الاجتماعي للريف هو العشيرة أو القبيلة أو الأسرة، ولا تتكون هذه العشيرة من أفراد ينحدرون بالضرورة من جد واحد؛ برغم أن الجد كان المرجعية بالنسبة إلى أفراد القبيلة. المرجعية عن حقيقة أو عن وهم. فالقبيلة أو العشيرة غالبا ما تتكون من تجمعات ذات مصلحة مشتركة اقتضت ذاتية الفرد ولاءه لها ومصلحته كل عليه أن يلتزم بضرورات أخلاقية ودينية واقتصادية مقابل حصوله على حماية وأمن ومورد رزق من الأرض. وتكون الأرض هنا محور نشاط وقاعدة أساس تشكل القبيلة أو العشيرة مثلما هو السلالة مدى من أساس، وإن كان اسم الجد يُرفع كشعار لتعزيز الأبوة المذكورة وتستخدم من مرجعيات داخل القبيلة ولتماسك أفرادها[2].

فسمة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للريف الجزائري لا تتحدد في شكل

---

1 - تقرير كاس بي (نقلا عن Le Beylik p 57) ينظر ملحق رقم 3 بالبحث.
• Féraud (Ch.), Notices Historiques sur les tribus de la province de Constantine, Arnolet Constantine 1869
• - بالإضافة إلى تقارير تؤكد هذا وهي محفوظة في A.M.G. H228
2 - للمزيد ينظر: عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداثة، بيروت 1983، ص 18 وما بعدها

متعلق بالقبيلة ولا بالعلاقات فيما بينها فقط، رغم أنها الإطار لهذه الحياة إذ كانت تتحدد أيضا بالنظام العقاري (الأرض) وبالأدوات الفلاحية وتقابلها سمة الحياة في المدينة بالدكاكين والحرف[1]. فالأرض بالنسبة إلى سكان الريف هُويّةٌ بقدر ما هي مردود مادي ولعل هذه القناعة هي التي دفعت نوشي إلى اعتبار النظام العقاري بالشرق الجزائري هو السبب في وجود توازن بارع سائد بين الفرد والجماعة، من جهة وبين الإنسان والتقنيات، من جهة أخرى. وبينهما والأرض، من جهة ثالثة[2] ويمكن أن نقول أيضا إن الأرض هذه هي التي حفظت التوازن في العلاقات بين الشرق الجزائري والغرب التونسي. وبقي هذا التوازن إلى أن جاءت الحملة الأوروبية عام 1830.

كان سكان الريف الشرقي الذين يوصفون بالبدو يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الرعي أساسا. ومن ثم فالحياة الاقتصادية والاجتماعية للريف الجزائري تقوم على نشاطين هما الزراعة وتربية المواشي. وهذا ما يفسر الصراعات وكثرة الحروب بين السكان حول مواطن الكلأ والزراعة سواء أكان داخل بايلك الشرق الجزائري أم بين سكان البايلك وسكان الغرب التونسي مما أدى إلى نتائج هامة لصالح النظام العثماني والاستعمار الفرنسي فيما بعد.

1 - للمزيد من المعلومات ينظر: ابن أشنهو، عبد اللطيف، المرجع السابق. ص. 25

2- Noushi, Enquête, p. 73.

وفي جنوب قسنطينة بالصحراء كان الصراع حادا بين الأسر وبين القبائل، حيث كانت الأسر الثلاث ابن قانة وبوعكاز وبنو جلاب تتقاسم النفوذ في هذه المنطقة الجنوبية. إذ كانت أسرة بن قانة ضد أسرة كل من بوعكاز في الزيبان وأسرة بني جلاب في توقرت في حين كانت القبائل بهذه المنطقة الصحراوية مثل البوازيد في صراع ضد أولاد نايل.

وكانت القبيلتان الحنانشة والنمامشة تسكنان معظم المناطق في جبال الأوراس وبعض المناطق الأخرى في غير الأوراس. وكانت معظم فروعهم ثائرة على النظام العثماني[1] وكان لكل ذلك أثره المباشر في العلاقات التونسية- الجزائرية.

في الغالب كانت النزاعات بين الأفراد داخل القبيلة أو الأسرة الواحدة بفعل الانتماء إلى الجد الواحد أو إلى شيخ طريقة [illegible] كانت تلك النزاعات دائمة بين قبيلة وأخرى.



1 - وقعت انتفاضات كثيرة من طرف هؤلاء منها التي كانت عام 1803 و1804، و1823. للمزيد من المعلومات يراجع سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، ص. 275

وكانت قبيلة الحنانشة[1] من القبائل القوية التي شكّلت مركز فعل في الأحداث السياسية منذ القرن الثامن عشر على الأقل.

وكانت هذه القبيلة متشكلة من ثلاثة فروع رئيسة هي **هوارة والهلالية وعرب بني سليم**. وفي رأي الباحثة معاشي جميلة أن أصل القبيلة هي التي تعرف بأحرار الحنانشة وأن بقية الفروع تسمى بالحنانشة إذ سميت كذلك سواء بالحلف أم بالموطن[2].

وهذه القبيلة نفوذ قوي، يمتدّ على رقعة عريضة من الأراضي التي تتاخم بين حدود البلدين تونس والجزائر؛ لأن نفوذها كان يمتدّ من سوق اهراس ثم بن عمارة ومنها إلى قلعة سنان وجبل مسيد إلى جنوب وادي مجردة وإلى جبل قلاة ودقمة وسبسة كاف مسحوط وسبسة الغرورية وجبل تبس[3] وبذلك تمكنت هذه القبيلة خاصة خلال القرن 16 وبداية القرن 17 من فرض سلطتها على طول (حدود) البلدين وبالتالي على

1 في رأي [illegible] الحنانشة [illegible] عيّاش المنحدر من قبيلة [illegible] 1983 ص 405 [illegible]
• Féraud (Ch.), « Les Harar seigneurs des Hanencha », in R.A. 1874, p. 30
• Dardour (H.), Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, S.N.E.D, Alger 1982, p-p. 60-59

2 معاشي جميلة، الأسر الحاكمة [illegible]
قسنطينة، الجزائر 1991، ص. 33.
3 - معاشي جميلة، المرجع نفسه ص. 139

قبائل وفروع أخرى في العرب الوسطي مثل شرد وأولاد بوعنم والفراشيش[1]. بالإضافة إلى سيطرتها على أسر موسعة أخرى مثل بني معمري وأولاد علي وبني زندي وبوبسة وأولاد سلام وبني سقون وبني ... الله جانب القبائل الأخرى الموالية لها والمتوطنة على حدود الوطنية مثل وشتاتة وورغة[2].

يوازي هذا النفوذ المترامي مع دور الشابية التي حاولت هي الأخرى توحيد القبائل تحت سلطتها الروحية والسياسية[3]. ففي فصل الصيف ووقت الحرث كانت تقيم قبيلة الحنانشة في قلعة سنان وفي الشتاء ووقت الحصاد كانت تقيم على ضفاف وادي مجردة[4].

ترك الرحالة بيسونال حين زار الجزائر سنتي 1724 -1725 معلومات قيمة عن الحنانشة وخاصة عن شيخها بوعزيز بن نصر الذي وصفه بالسلطان وقال عنه إنه تمكن بما له من قوة قدرت بـ 8000 رجل من محاربة كل من باي قسنطينة وباي تونس[5].

1 Féraud (Ch.), « Les Harar », p. 22
2 A.O.M. F80-549
3 للرجوع لتاريخ الشابية في الجزائر في القرن 16 [illegible] في تونس [illegible] [illegible] من عنابة إلى وادي سوف [illegible] [illegible] [illegible] ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 ص 275
4- Féraud, « Les Harar », p-p. 394-396.
5 للمزيد يراجع كل من
• Peyssonnel, op.cit, p-p. 292-295 =

ولشيخ الحنانشة مكانة مرموقة تضاهي مكانة الباي. إذ كان يحظى بامتيازات مثل ارتداء قفطان الباي واستعمال الختم الذهبي، بجانب ما كان له من حرية في جباية الضرائب والتصرف فيها دون مراقب، مع حرية الإستبداد الإداري وقت السلم ووقت الحرب. وكانت هذه المشيخة قوة عسكرية منها فرقة خاصة تسمى المزارقية[1].

ومن خلال الدراسة يتبين لنا أن الحنانشة كانت تمثل قوة ثالثة في المنطقة بعد قوة كل من باي قسنطينة والأسرة الحسينية في تونس. وهذه المكانة كانت محكومة بنوع من السياسة، منها استغلال موقعها الحدودي بين الإيالتين لتثبيت مصالحهم. وهو ما جعل هذه القبيلة لا تدفع ضرائب إلى كلا النظامين التونسي والجزائري[2].

وساعد قبيلة الحنانشة على زيادة نفوذها عامل المصاهرة خاصة مع بايات تونس، من ذلك أن الشيخ بن منصور زوّج ابنته لعلي باي تونس[3] وعقد حلفا

• = Babes Leila, Mythe d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous la domination turque, thèse de 3e cycle Aix en Provence. France 1984 p. 268 269

وتساءلت ليلى بابس، المرجع نفسه صفحة 270 عن إحجام كل من الحنانشة والسلاوة عن الهجوم على قسنطينة برغم قدرتهما على ذلك، وترجع السبب إلى عدم تأييد العلماء لهم بالعصيان (في قسنطينة ومحمد السنوسي في عنابة) ولكن لا نستبعد أن يكون السبب يعود إلى قناعة القبيلتين بشرعية السلطة العثمانية

1 نفس المرجع نفسه ص 268 وكذلك A.M.G. 1226 [illegible] "المزارقية" وهم ضاربون مشدودون من مختلف القبائل المغربية وهذه التسمية أصلها "للزراق" وهو الرمح

2- Féraud, « Les Harar », p. 346.

3- Gouvion (M.), et Edouard, Kitab Ayan el Magharba, Alger 1920 P 34

3. Feraud, « Les Harar » P 205

مع كل من الشابية والنمامشة، برغم أنه سبق لهذه الأخيرة أن تعاونت مع الأتراك إذ بفضلها تمكن باي قسنطينة من بسط نفوذه على مناطق الحدود التونسية.

وكان للشابية نفوذ ديني واسع امتدّ إلى كل من القلعة وسوق أهراس وتبسة والأوراس، إذ كانت القبائل والأسر الثائرة دائما مدعمة بنفوذ الشابية.

واعتمدت الشابية على الحنانشة حيث كانت هوارة الحنانشة تعلن ولاءها للشابية. وتفسّر بعض الروايات سرّ التحالف الخاص بين الشابية والحنانشة بما كان من علاقات تاريخية عن طريق الشيخ عبد الصمد الذي كان له نفوذ في قسنطينة[2]. وعقدت الحنانشة تحالفا مع النمامشة هذه الأخيرة التي كانت تعدّ من القبائل القوية بالشرق الجزائري، امتدّ نفوذها حتى تقريبا في تونس. وكان الهدف من التحالف هذا هو محاربة بايات قسنطينة مثلما حدث ضد الحاج أحمد باي عام 1828 [3].

---

1 Babes Laila, Tribus, structure sociale et pouvoir politique de Constantine sous les Turques. D.E.A. Fac. de droit et des sciences politiques. Aix en Provence. France 1981, p. 204

2 - ينظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق: سعد الله أبو القاسم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996، ص 224، 336 [illegible]

• Féraud, Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunisie. Arnolet, Constantine 1886, p. 96

3 Feraud, « Notice sur Tebessa », in R.A. 1874, p. 449, 456.

الوضع الثقافي

من المتعارف عليه أن الوجود العثماني استمر في الجزائر أكثر من ثلاثة قرون (1516 ـ 1830)، وكذلك الوجود الفرنسي الذي حاول فرض ثقافته مدة قرن وثلث القرن (1830 ـ 1962). أثناء هذه الفترة تفاعلت ثقافات كثيرة فيما بينها داخل المجتمع الجزائري مثلما عاشت وتعايشت أجناس وجنسيات متعددة وأنظمة سياسية مختلفة. ورغم ذلك ظلت الثقافة العربية الإسلامية ضاربة في المجتمع الجزائري.

واحتلت الطرقية في المجتمع الجزائري مكانة هامة، إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية. والهدف من حديثي عنها ليس إبراز مكانتها كعقيدة فلسفية ـ دينية بقدر ما هو إبراز دورها الثقافي والسياسي سواء من حيث علاقتها بالسكان داخل الجزائر أم من حيث علاقتها بسكان التخوم في شرق الجزائر وغرب تونس، إذ أن شيخ الطريقة نفوذ في أوساط المجتمع أوسع من نفوذ شيخ القبيلة وأوسع حتى من نفوذ الباي. وأن كلمته كانت تنفذ إلى القلوب ما لا تنفذ الإبر. ومن حيث علاقتها بالنظام العثماني الذي تقرب لبعضها على حساب بعض الآخر ومن حيث موقفها من الاحتلال الفرنسي الذي تفطن إلى أهميتها وكسب كثير من صفوفها أثناء فترة التوسع والاستقطاب. بحيث فموضوع الطرقية يمكن تناوله في موضوع الثقافة مثلما يمكن تناوله في مواطن أخرى.

ومهما يكن فالطرقية كانت تنتشر عبر أنحاء الوطن إلى درجة أن البعض عددها بست عشرة طريقة. ومنها ثلاث عشرة طريقة انتمت إلى الشاذلية[1].

وكانت الرحمانية هي الطريقة الجزائرية الوحيدة من بين الطرق التي انتشرت في الجزائر. ونذكر بالقول إن أغلب هذه الطرق كانت قبل مجيء الاحتلال الفرنسي طرقا صوفية بالاسم لا بالممارسة الأمر الذي يمكن أن يفسر به سبب ميل بعضها إلى الصف الفرنسي فيما بعد نتيجة ابتعادها عن التصوف الحقيقي لأن الصوفي لا يملك ولا يمتلك ولا يكون تحت حكم أو ملك فهو يقطع سلطان إرادته عن الغير[2].

ومهما يكن من أمر فقد كانت كل من الرحمانية والقادرية والطيبية والتجانية والرياضية أكثر انتشارا في معظم مناطق الشرقية الجزائرية، إذ كانت منتشرة في عين البيضاء وصولفة ونقطة والكاف وتمسين وجرجرة وغيرها. وكانت زواياها موجودة في كل الأنحاء سواء بالتعليم أم بالإطعام أم تعبئ أهلها وبالتالي لاستغلال النعمة، بنشرها الخرافة والشعوذة من جهة واستغلال حيوات الناس من جهة أخرى. إذ عدد من كان هؤلاء مرتبطون بالمرموقين نعمة على المجتمع بحكمهم لواء الثقافة والعلم وبعضهم بمرغاب ويوفرهم

1 ـ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، الفصل السادس. بحسب أبو القاسم
[illegible]
. لا يكاد يجد طريقة أصيلة نابعة من ظروف سياسية أو دينية محلية. المرجع نفسه ص 525
[illegible]

• Rinn (L.), Marabouts et khouans, Jourdan, Alger 1884

2 ـ يراجع: كشف المحجوب، المرجع السابق ص 233

الأمر في تنقل حتى تعوقن الحضرية وتركهم سرقات من الأشعار والأذكار ولتأييد بعض من كانوا أيضا نقمة على المجتمع لما أحدثوه من صراعات محلية فيما بينهم وبنشرهم للخرافة والشعوذة التي انتشرت في كامل المجتمع الجزائري وأبعدتهم عن العلم والعمل، إذ لم يكن لديهم اهتمامات، فمسألة التوحيد، ليست هي عقيدة عميقة في الدين الإسلامي، وإنما كانت هم إلا البعث الروحي مشدودين إلى الماضي بعيدا عن آفاق المستقبل فحدث بهذا إلى الوراء، وبالتالي تغييب الناس عن واقع حياتهم وإشكالاتهم.

كل هذا التغيب والسكون والعجز أصبح للأنظمة السياسية الحاكمة العثمانية والفرنسية حيث سهل مهمة هذه الأخيرة في السيطرة على الجزائر سياسيا واقتصاديا. وكذلك على تونس فيما بعد.

لنأخذ قطاع الشرق الجزائري الذي يبين فيه من الدراسة التي قدمها أحمد نذير أن عدد سكانه وصل عام 85 حوالي 1038962 نسمة وكان عدد مريدين[1] للطريقة الرحمانية 67139 نسبة 6.45 % من عدد السكان ومريدي الطيبية 5645 بنسبة 1.5% ومريدي القادرية 8342 نسبة 0.8%، والتيجانية 4952 نسبة 0.47% و خنصالية 72 نسبة 0.11%[2] أي أن نسبة 33 %9 من

1 – جاء معنى المريد في: ابن العربي، محي الدين. كتاب اصطلاح الصوفية. جمعية دائرة المعارف العثمانية ط 1، (دون البلد)، 1948، ص 2. "المريد هو المتجرد عن ... هو الذي صح له الانتماء ودخل في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم"

2 - « Les ordres religieux et la conquête française », in Revue algerienne des sciences juridiques, économiques et politiques, vol 1 n° 4, Alger 1972, p-p 814 - 8[illegible]2

السكان هم مريدون لهذه الطرق. وغيرهم كانوا مريدين لطرق أخرى

يتوزع أغلب هؤلاء المريدين على أهم الطرق الثلاث الرحمانية الطيبية والقادرية وبالإمكان تبيان هذا من خلال الشكلين التاليين اعتمادا على دراسة كور (Cour)[1]:

الشكل 1

النواحي	عدد السكان	عدد المريدين	عدد المقدمين	مقدم واحد لعدد المريدين التابع	مقدم واحد لعدد السكان التابع
أم البواقي	34 350	00	8	55	1786
عين البيضاء	07 985	340	5	55	1597
سدراتة	27 880	2067	32	64	8[illegible]8
سوق أهراس نواحي	4 958	808	47	38	[illegible]56
سوق أهراس مدينة	04.381	220	2	-/-	-/-

*الذكر أن النسب المئوية لم ترد في دراسة أحمد نذير
• يمكن الإطلاع كذلك على

• Neveu (F. DE), Les Khouans ordres religieux chez les musulmans d'Alger, Jourdan 1913
• Carzet (J.), Les confreries religieuses musulmanes en Algerie, Alger 1959
• Mercier (L.), Etude sur les confréries des Khouans de Sidi Abd El kader El Djilani, Challamel, Paris 1863.

1 Cour (A.), « Recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes » in R.A. 1862, p-p. 291-334

موروسوث	29.842	2600	13	290	2206
تبسة مدينة	08 093	720	7	100	1156
تبسة نواحي	52.374	7937	57	39	918
مسكيانة	23 259	4505	20	225	1162
خنشلة	35.628	2360	35	67	10117
مجموع	256686	23557	236	843	11758

الشكل 2

رحماني		تيجاني		قادري	
مريد	مقدم	مريد	مقدم	مريد	مقدم
12 325 %52 32	108 %0 45	6828 %28 98	22 %0 093	2697 %11 44	20 %0 084

يقول كان للرحمانية وجود قوي في المدينتين تونس والجزائر إذ إنه سبق لمصباح بن علي بن عيسى أن أسس زاوية في الكاف وأسس كذلك كل من مصطفى بن محمد بن عزوز زاوية في نفطة عام 1843، والحمداوي محمود (في تونس).

وبناء على ما تؤكده بعض المصادر كان بزاوية الكاف الرحمانية حوالي 900 مريدا و32 مقدما في سوق الأربعاء وحدها بجانب 18 مقدما كانوا ينتقلون الدعم من ذ

فروع تونسية. وتأتي القادرية في المرتبة الثانية من حيث النفوذ في منطقة الكاف بما لها من 306 مريدا و6 مقدمين[1].

من العلاقات التجارية

أما التجارة الخارجية لبايلك الشرق الجزائري فكانت تتم مع كل من تونس وأوروبا حيث كانت المواد الأساسية المصدرة هي الحبوب والزيوت والصوف والمرجان والشموع والجلود وريش النعام وكانت المواد المستوردة هي العطور والمنصوجات والأسلحة والأقمشة ومواد البناء والسكر والقهوة والورق والحديد.

وكان للتجار اليهود المتجولين دور في رواج المنتجات الأوروبية التي عرفت إقبالا كبيرا من طرف الجزائريين وكان ذلك على حساب المنتجات الجزائرية[2] بجانب هذا كان رواج المنتجات الصناعية التونسية بالشرق

1 - لمزيد من المعلومات يراجع:
• Cour (A.), « Recherche »,op.cit, p-p. 112-135
2 - ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكون التخلف، ص. 42.

الجزائري ومنافسة العملة التونسية للعملات المتداولة في الجزائر[1] إذ كانت هذه العملة أحد العوامل المهمة في تحديد نوعية العلاقات بين نظامي بايلك الشرق ونظام الأسرة الحسينية.

وبناء على هذا لم تساعد شبكة التجارة في الجزائر على تطوير البلاد لأنها كانت محكومة إلى شبكة المواصلات السيئة وإلى صنعة تقليدية، ومن جهة أخرى كان النظام العثماني يشكل حاجزا أمام تطور التجارة، لأنه لم يحدث تلاحم بين رأس المال التجاري المحلي والجهاز الحاكم لمواجهة الاحتواء الأجنبي وتحويل الريع لعيني إلى الريع النقدي، إلا أن الذي حدث هو التعامل بين الجهاز الحاكم و"رأس المال" التجاري الأوروبي، الأمر الذي مهد بشكل أو بآخر للغزو الأوروبي لأن البرجوازي الأوروبي أدرك أهمية البلاد، واقع محصورية النظام العثماني في الجزائر (وإن كان خلال الفترة الأخيرة من وجوده لم يعد يشكل أي خطر على القوى الأجنبية) هذا قام البرجوازي بضرب وزحزحة هذا النظام، وهذا ما يفسر مساعي الأوساط المركنتيلية وخاصة

1 سيطر الريال التونسي على التعامل النقدي بالشرق الجزائري منذ أن ارتفعت قيمته خاصة خلال حكم حسين باي وعمه مصطفى باي بزيادة ... بنسبة 85%" بعد أن كانت 60% ينظر

• Noushi (A), Enquête. p. 121

إذ بلغت مداخل الخزينة التونسية من مهري إلى جربة عام 1825 حوالي 121.750 بياستر. لمزيد من معلومات يراجع

• Khelifa Chater Description et mutations précoloniales, La Régence de Tunisie de 1815 1857. publication de l'Université de Tunis 1984, p. 300

لكن قيمة البياستر هبطت عام 1829 إذ صارت تساوي 0,20 فرنك بعد أن كانت عام 1816 تساوي 1,70 فرنك. ينظر: Khelifa Chater المرجع نفسه، ص 578.

المارسيلية للضغط على حكومة باريس لاحتلال الجزائر أولا واحتلال تونس لاحقا، وما توجيه الحملات العسكرية من طولون أو من باريس إلا كان تلبية للأمر الواقع الذي فرضته البرجوازية الأوروبية.

من نظام الحكم

وفيما يتعلق بنظام الحكم في الريف علينا أن نشير إلى نقطتين الأولى وهي أن نظام الحكم العثماني بالريف كان يستند إلى الأعراش والقبائل المخزنية، والأخرى إنما سنحدث لاحقا بشيء من التركيز على نظام الحكم العثماني بالريف أثناء المرض للسلطة ومجال النفوذ.

وكانت قبائل المخزن - على رأي أحد الدارسين - تتشكل من مجموعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية، وهي ذات أصول مختلفة، خلاف القبائل الأخرى ذات النسب الواحد[1].

لا يعني هذا أن القبائل المخزنية كلها من أصول مختلفة، فهناك قبائل أو عشائر ذات النسب الواحد أعلنت ولاءها للنظام العثماني أو أخضعت فغدت قبيلة مخزنية مثل قبيلة الزمول والأعشاش التي تشكلان الطرف القوي شبه من الهامشية الذي تبنيه النظام العثماني كمخزن حاربة بني مراد الثائرين مثلما نجد كذلك أولاد عمر وأولاد رحمون وهي أسر ذات مواطن عريقة

1- Pouyanne, La propriété foncière en Algérie. Jourdan. Alger 1900. p. 291
2 A O M M90

وبناء على هذا فالمخزنية تتشكل كذلك من عشائر عريقة أعلنت ولاءها وفرض عليها التزام الطاعة وهو الأمر الذي يدفعنا إلى مشاطرة الرأي الذي ذهب إليه مبارك الميلي حين اعتبر أهل المخزن رجال الإدارة والحكم الذين يعيشون على حساب الآخرين[1] وفي رأي بعض الدارسين فإن المخزنية في الجزائر هي قوة مأخوذة من البلاد لحكم البلاد[2].

ولم تكن المخزنية ذات صفة إقطاعية مثلما ذهب إلى ذلك سعيدوني ناصر الدين بالقول "فنظام الملكية الذي عرفته عشائر المخزن ( ) كان يعتبر الدعامة التي كانت تقوم عليها الصفة الإقطاعية"[3] وقد وجد النظام العثماني سندا قويا في هذه الشريحة من القبائل المخزنية، وذلك لاتساع رقعة البلاد وقلة عدد جيش الإنكشارية، حيث بلغت قوته في حدود الأقصى أربعة آلاف أواخر وجوده في الجزائر بعد أن كان عدد محاربيه ثلاثين ألفا[4].

ومن القبائل المخزنية قبيلة الزمول وأولاد إبراهيم اللتان كانتا أصلا من القبائل الرحّل وفي رأي الحاج أحمد باي فإن السياسة العثمانية اعتمدت

1 الميلي، مبارك: تاريخ الجزائر القديم والحديث ج 3 مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1964، ص 300

2. Esterchazy (W.). Domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger Goussin, Paris 1840, p. 25

3 - Esterchazy (W.) المرجع نفسه ص 71. وينظر كذلك

Rinn (L.), « Le royaume d'Alger sous le dernier bey », op.cit p-p. 121-152

4- Perrot, Alger esquisse topographique et historique du royaume et de la ville d'Alger, Paris 1830, p-p. 55-56

على هذه القبائل المخزنية مثلما اعتمدت على إثارة النعرات والحروب بين القبائل حيث ذكر "أما أوضاع السلم فيها تقارب بين العرب وتوحدهم حول غرض واحد"[1].

بالإضافة إلى أن الاعتماد على المخزن كان يوفر للنظام العثماني الاستقرار أكثر مما يوفره الجيش الإنكشاري، زيادة على ما يتم من تخفيف الجور هذا الجيش والتخلص من جوره.

وكان عدد المخازنية في بايلك الشرق كبيرا جدا، ففي مدية مثلا كان يمكن استنفار 10 آلاف فارس في الحالات القصوى خصصت للأمن وجمع الضرائب ونفسها القوة كان يمكن تجنيدها في دوائر حمية ووادي زيتاني[2]

وبرغم هذه القوة فإن أحمد باي لم يحسن استغلالها في مواجهة التوسع الفرنسي.

وبفضل هذه القوة المخزنية تمكن النظام العثماني من حماية نفسه من القبائل الجبلية والصحراوية، وكذلك تمكن من مواجهة قوة حمودة باشا [illegible] وبفضلها تمكن من الاستيلاء على أراض خصبة وواسعة. ونتج من هذه السياسة العثمانية القائمة على مبدأ حماية النظام فئة ضد فئة بقاء قبائل كثيرة معزولة في مناطق جبلية وصحراوية؛ وهو الأمر الذي كان له انعكاس سلبي على "المقاومة" الجزائرية، والانعكاس إيجابي على التوسع الفرنسي بمنطقة

1 مذكرات الحاج أحمد باي، مرجع السابق ص 41

2. Urbain (I.), "Notice sur l'ancienne province du Titteri" in R.A. 1843 p-p 400-403

بعد أن كان له أثر على سوء العلاقات الرسمية بين الجزائر وتونس.

وكانت الأعراش المخزنية تقيم في مناطق حساسة وفي أبراج كانت من أهمها في بايلك الشرق قبيلة حشم في برج بوعريريج التي كانت تشرف على الطريق الرابط بين قسنطينة والجزائر العاصمة وقبيلة أولاد إبراهيم سكان ... التي كانت تتحكم في الممر الرئيسي من قسنطينة إلى عنابة وسطورة (سكيكدة) من ناحية فضلا عن فرقة زمالة نقاوس ودائرة الزمالة التي كانت تسيطر على ممر رأس العقبة الذي كان يربط قالمة بكل من عنابة وقسنطينة وزمالة بني مراد التي كانت تحرس الطريق الواصل بين قسنطينة وتونس ومخزن بوصلاح الذي كان يراقب سوق العشاشة الشهير ودائرة وادي الذهب التي كانت تشرف على العلمة وبوحنش وكذلك الزمالة عين الترك. ومخزن الرمول الذي كان يشرف على شرق شمال بسكرة بالإضافة إلى مخزن الأعشاش متوسط شمال الأوراس ومخزن المدينة الذي كان يكلف بحراسة الجبال الجنوبية للأوراس وعموما كان لهذه المخازن دورا ملموسا ومحسوسا في شتى مناطق البايلك الشرقي[2]

وبهذا تكون المخزنية قد لعبت دورا رئيسيا في سير السياسة العثمانية مسيرة، بعثت دورا متكاملا مع الدور الذي قام به الكراغلة في المدينة وكذلك مع الدور الذي قامت به الحاميات العسكرية في بعض المدن و...

1 - Warnier, et, Carette (A E. Hyppolyte), Description et division de l'Algérie Hachette, Paris 1847, p. 49

2 - سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث، ص.271. وكذلك A O M. 10H1

يقتصر دور المخزنية على فرض الأمن وجمع الضرائب فقط بل امتد دورهم إلى حماية مدينة قسنطينة والنواحي المحيطة بها من غارات القبائل خاصة السهلية ومن هجمات باي تونس حمودة باشا.

وفي معظم الحالات كانت المخزنية تدفع الضرائب عينا على خلاف القبائل الأخرى التي كانت تدفعها نقدا، الأمر الذي كان يرهقها بسبب مخصوص ثمن زهيد. بالإضافة إلى هذا فالمناطق النائية عن مدينة قسنطينة لم تكن تنأى عن يد السلطة العثمانية، فمنطقة الأوراس مثلا برغم صعوبتها وخشونة سكانها فقد امتد إليها نفوذ العثمانيين الذين أحدثوا بها قيادات مخزنية كانت أهمها ثلاث قيادات هي قيادة الأوراس وكانت مشكلة من ... يتولى القيادة فيها شيخ براتب 1000 بوجو (1 بوجو يعادل 1.86 فرنك) وقيادة بالزمة على رأسها شيخ بنفس الراتب وقيادة النمامشة يرأسها شيخ براتب 2000 فرنك سنويا.

بالإضافة إلى هذه الرواتب منحت القبائل المخزنية امتيازات أخرى مثل الإعفاء من الضرائب الإضافية والضرائب الأخرى المسماة في الجزائر بالغرامة والمسماة في بايلك قسنطينة بالحيري وحسب بعض التقديرات كانت الأسرة الواحدة من القبائل غير المخزنية ملزمة بدفع الضريبة الإضافية والمقدرة بـ 15، فرنك أي ما يساوي 28 بيروفا سنويا[1] وهي قيمة مبالغ فيها، وقد تكون فرضت على أسر موسعة محدودة

1 - Marce (E.), « La situation economique de la Regence d Alger en 1830 ». in Information historique, nov-dec, 1952, p. 171.

مجال النفوذ

وبرغم وجود هذه السلطة العثمانية في الشرق الجزائري المدعمة بالقوة المخزنية إلا أن سلطات متعددة وبالتالي مجالات نفوذ متداخلة كانت تسود إقليم قسنطينة حيث كان مجال السيادة العثمانية ستقلا، مثل ما كان مجال النفوذ لشيوخ قبائل وطرق "صوفية" بجانب المجال الآخر لدى نظام بايات تونس على الحدود.

والسؤال الذي يمكن طرحه هو ما هي الأنظمة السياسية والاقتصادية التي **كانت تتحكم في الحياة الاجتماعية بشرق الجزائر العثمانية؟**

بالإجابة على هذا السؤال يرى ابن أشنهو[1] صيرورة تحديد النظام الاقتصادي المسيطر داخل التشكيلة الاجتماعية وصيرورة إدراج هذه التشكيلة في القنوات الاقتصادية الدولية الرأسمالية.

لم يكن رجال النظام العثماني يمتلكون كل الأرض ووسائل الإنتاج وإنما كانوا يستقطعون جزءا منها ويمنحونه لغيرهم بمقابل مادي ومعنوي

وبواسطة هذا النمط السياسي والاقتصادي كان النظام يفرض سيطرته بالقوة على الجماعة الموالية في حين كان عاجزا على فرض نفسه على النصف من السكان، هذا كان مجال سيادته محدودا لأن النظام العثماني أواخر وجوده في الجزائر اهتم بثروات داخل البلاد أكثر مما اهتم بالثروة من البحر

1 – ابن اشنهو، تكون التخلف، المرجع السابق، ص. 25

إذ تعامل الحكام العثمانيون مع الجزائريين بدرجات متفاوتة بأن قسموا السكان إلى أصناف حسب أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، لا بكونهم رعايا خاضعين وإنما مجموعات سكانية متفاوتة في الواجبات والحقوق، حيث كان الصنف الأول مستغلا من طرف النظام وحلفائه والصنف الثاني مستقلا وثائرا يعيش معزولا سواء في الجنوب أم في الشمال على السهول أم على الجبال والصنف الثالث متحالف مع النظام العثماني وعلى رأسه القبائل المخزنية.

لم تعرف هذه الأوضاع الاجتماعية الطبقية ولا الطبقية الأرستقراطية الدينية، برغم وجود زعامات مرابطية وإن عرفت التفاوت بحصول بعض من الأفراد على امتيازات ومن ثم لا يمكن الحديث عن صراع طبقي في المجتمع الجزائري، وإنما نشاطر الرأي الذي ذهب إليه عدي هواري بقوله **"ولعله من نافل القول التأكيد على أن هذا التفاوت الاجتماعي لا يبلغ حجم التفاوت الذي تتسم به الطبقات في تشكيلة اجتماعية إقطاعية على الطراز الأوروبي"**[1] في حين نخالف الرأي الذي ذهب إليه لوتسكي من أن الوجود الطبقي الإقطاعي في الجزائر كان كبيرا وهو الذي عرقل تطور البلاد[2].

1 – عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ص 26
2 – لمزيد من المعلومات راجع لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، الفارابي، ط 7 بيروت 1980، ص-ص. 201-208.

ثانيا: من العلاقات التونسية الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر

تؤكد الوثائق والدراسات التي بين أيدينا أنه منذ أن تولى حمودة باشا الحكم على رأس الأسرة الحسينية (1782 م) تحسنت الأوضاع داخل البلاد التونسية كما عرفت أحوال تونس الخارجية، سواء في ميدان العلاقات التونسية الأوروبية، أم التونسية الجزائرية[1] زد به على الصعيد الداخلي طبق حمودة باشا سياسة "عصرية" مست معظم القطاعات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، حيث وظف خبرة البعض من المماليك أمثال مصطفى خوجة ويوسف خوجة صاحب الطابع وغيرهما[2] بجانب أبناء البلاد العارفين لأمور السياسة والمدركين بعمق من الحركة والتحكم في المجتمع التونسي والموجهة للسياسة البدوية حيث استخدمهم في المهمات الإدارية وحتى العسكرية. وكان لهذه السياسة دور في تحديد نوعية العلاقات بين النظامين؛ إذ يشهد لحمودة باشا ولصاحب الطابع بعد النظر والحنكة الدبلوماسية؛ من ذلك أنه قام مع حلفائه وأعوانه من أهل البلاد مثل الحاج ابن يونس الحربي وآل الجلولي وآل بن عياد بأخذ قسط من التجارة الخارجية

1 ـ للتعرف على أوضاع تونس عهد حمودة باشا يراجع كل من:
• ـ رشاد الإمام، سياسة حمودة، المرجع السابق
• Cherif (M.H.), «Hammûda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne », Les Africains, t. 7, éd. Jeune Afrique, Paris 1977, p-p. 103 - 127

2 ـ لمعرفة شيء عن صاحب الطابع يراجع:
• Sadok (Z.), Les precurseurs, 2e éd. Bouslama, Tunis 1979, p-p. 17-37

من أيدي التجار الأوروبيين. مثلما تعامل مع قناصل الدول الأوروبية بمساواة من دون أن يسمح لطرف أن يحظى بامتيازات أكثر من الطرف الآخر مستغلا ظروف الحروب الأوروبية ليعدل الكفة لصالح بلاده ويقيم علاقات شبه متكافئة مع الدول الأوروبية الأمر الذي أدى إلى إحداث توازن بين الأطماع الأوروبية في تونس، وهو الأمر الذي أقلق فرنسا فتدخلت في شؤون تونس محاولة إبعاد أطماع الدول الأوروبية الأخرى.

ويعد هذا التدخل محور سياستها التقليدية منذ أواخر القرن 17 إلا أن حمودة باشا قلل من تأثيرها في تونس منذ عام 1789 مستغلا ظروف الثورة الفرنسية[1] لكنه بعد موت حمودة باشا صار تدخلها ملموسا أكثر في تونس واستفحل تدخلها بعد انقلاب ميزان القوة بداية من عام 1815 وصار تدخلها قويا بعد احتلالها للجزائر.

من جانب آخر ساعدت العلاقات العدائية التي كانت بين نظامي الحكم في كل من الجزائر وتونس على أن يتعمق النفوذ الفرنسي أكثر في تونس

1 ـ كان الضغط من الحرب التي قام حمودة بتشجيعه إذ تمكنت من ربط علاقات بنظام الحكم في تونس منذ سنة 1793، ودعمت هذه العلاقات أكثر بداية من عام 1821 راجع:
• A.N.T. dossier 698, carton 252
• Cherif (M.H.), «Hammûda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne », in Les Africains, p - p. 114 - 116
• ـ الذي ساعد حضور النفوذ القوي في منطقة المغرب العربي عدم تعرض الباب العالي لها بل ... الباب العالي عام 1827، حكام الولايات الثلاث بعدم التدخل في ... العالم ... والمغرب ... بيرم محمد الخامس، صفوة الاعتبار ... المصدر السابق ص. 430

وكان مدخلها يستند إلى شرعية المعاهدات سواء التي أبرمت بين السلطنة العثمانية وفرنسا أم التي أبرمت بين هذه الأخيرة وبايات تونس منذ زمان سابق[1].

ومن مظاهر تشابك العلاقات العدائية بين الطرفين في كل من تونس والجزائر أن كل طرف كان يحرض فرعا من قبيلة موالية له على التحرك ليثور ضد الطرف الآخر، من ذلك أن باي تونس سعى لنصرة فرع من فرعي قبيلة الحنانشة وقرب إليه فرع أولاد خيار وهاجم به عام 1714 على الفرع الآخر وهم الأعشاش[2]. ويمكن القول إنه منذ حوادث عام 1756 صار النظام الحسيني في وضع تبعية لدايات الجزائر الذين لم يحسنوا التصرف في البلاد التونسية بداية من القرن 9 أي إلى تاريخ معركة سراط عام 1807[3] التي أنهت هذه التبعية رغم الهجمات البحرية الجزائرية على السواحل التونسية. وقد تمكن حمودة باشا من كسب أنصار له في قطاع الشرق الجزائري، من ذلك

---

1 - منذ اعتماد قنصل فرنسي في تونس عام 1583 شرعت فرنسا في عقد سلسلة من المعاهدات مع حكام تونس مثل معاهدات أعوام 1604، 1665، 1672، 1685، 1698، 1710، 1720، 1728، 1742، 1762، 1770، 1774، 1824.

2 - Féraud (Ch.), «Les Harar» op. cit. p. 325

3 - بعد فشل حمودة باشا في حصاره لمدينة قسنطينة جهز جيشا قويا وانتصر به في هذه المعركة. راجع: حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس 1373هـ، ص 158

أن أحمد الشاوش[1] صاحب النفوذ في الشرق الجزائري قد تمكن من قتل باي قسنطينة والتحالف مع باي تونس حين هاجم قسنطينة عام 1807.

استغلت فرنسا قبيل وبعد حملتها على الجزائر هذا العداء الرسمي المستمر بين الطرفين وتقربت من النظام التونسي الذي وجد في فرنسا هو الآخر سندا قويا للتخلص من التهديدات العثمانية سواء التي كانت من الجزائر أم التي كانت من اسطامبول[2].

ويلاحظ على سياسة خلفاء حمودة باشا في عهده وعلى من خلفوه أنها اعتمدت على الأجانب وخاصة على الفرنسيين. وقد لعب القناصل الدور البارز في زيادة النفوذ الفرنسي بهذا البلد. وكان في مقدمتهم القنصل فامين (Famin) إذ منذ عام 1825 حدث تحول في العلاقات التونسية الفرنسية[3]، بأن حصلت فرنسا بمقتضى معاهدة عام 1824 المبرمة بينها وبين تونس على امتيازات كثيرة وظفتها للتحكم أكثر في شؤون تونس الداخلية، وازداد تدخل حكام بايات تونس لفرنسا أكثر بعد معركة نافارين عام 1827 وبعد

---

1 - أحمد الشاوش أصله تركي يدعى بوزبوزه كان في خدمة النظام العثماني في الجزائر العاصمة هرب إلى الشرق الجزائري بعد مقتل سيده مصطفى باشا (1798 - 1805) وبوصوله تمكن بتحريض الإنكشارية من الثورة على نظام الحكم في قسنطينة والتقرب إلى حاكم تونس. للمزيد من المعلومات يراجع:

• Mercier (E.), Hist. de Constantine, op. cit. p.-p. 329 - 334

2 - للتعرف على موقف حمودة باشا من الباب العالي والنظام العثماني في الجزائر يرجع:

• Cherif (M. H.), «Hammūda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne», in Les Africains, p - p. 121 - 126

3 - Cherif (M. H.), «Expansion européenne et difficultés tunisiennes 1815–1830», in Annales E. S. C mai - juillet 1970

نوصهم في البلاد في وقت كان تخوفهم كبير من السلطان العثماني فكانوا يميلون أكثر إلى فرنسا فصارت سياسة تونس في شبه تبعية لفرنسا خلاف الأمر الذي كانت عليه سياسة الأسرة الحسينية عهد حمودة باشا إذ بالرغم من أن مصالحه ومصالح [illegible] حاكمه كانت مرتبطة [illegible] مع مصالح فرنسا لكنه قطع في نهاية الأمر علاقاته مع فرنسا مع [illegible] على أموال رعاياها ومراعاتهم بتونس؛ يعني أنه سلك سياسة متمسيرة بحمية يوسف صاحب الطابع وشركائهم مثل الحاج يوسف [illegible] هذه السياسة لمصالح الفرنسية وقلصت من امتيازات الأجانب.

على ضوء هذه المعطيات الخفية والدولية يمكن القول إن نوعية العلاقات بين الشرق الجزائري وتونس كانت في مستويين الأول رسمي والآخر شعبي وكانت تتحكم فيهما عوامل كثيرة، ثقافية واجتماعية وحتى طبيعية جغرافية حيث كانت نقاط التماس بين مفاصل التشكيلات السكانية الممتدة على الساحل التلي أو الصحراوي من الجزائر إلى تونس ثقافية واجتماعية أكثر مما كانت سياسية. إذ كان لشيوخ الطرفين دور فعال في إقامة الروابط بين السكان في كلا البلدين ويمكن أن نذكر مما قامت به كل من الرحمانية والتيجانية والشابية من تقارب بين السكان الحدوديين فنفوذ الرحمانية والتيجانية كان واسعا في البلاد الجزائرية والتونسية معا. ونستشهد بدور

الزاوية الرحمانية في نفطة بالجنوب التونسي[1]، وكذلك الزوايا القادرية والتيجانية المنتشرة بكثرة في التراب التونسي موازاة مع تأثير الشابية الذي كان كبيرا في المجتمع الجزائري الذي [illegible] أكثر في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهذا لا يستغرب من معاصرة [illegible] كان يشترك [illegible] الطرف الآخر في [illegible] الحروب [illegible] كانت ضد البايات في كل من الجزائر وتونس أم التي كانت ضد فرنسا. فمثلا ثار علي بن غداهم [illegible] بعد عام (864) ضد الباي التونسي [illegible] من المساعدات الجزائرية ما مكنه من الصمود طويلا حيث وقف بجانبه [illegible] العبد [illegible] في الجنوب الجزائري[2] [illegible] نفسه [illegible] به قبيلة [illegible] موجودة في ناحية قسنطينة حين انتصرت وأوت علي بن غداهم ومن معه والبالغ عددهم 3000 فرد رغم مضايقة الفرنسيين [illegible] نفسه.

و [illegible] قبيلة [illegible] حين انتصرت علي بن غداهم بن [illegible]

1 مصطفى بن محمد بن عزوز [illegible] في نفطة [illegible]

2 [illegible] علي بن غداهم يراجع: التميمي، عبد الجليل [illegible] 1972، ص 19 وما بعدها [illegible] سيدي عبيد الذي كان له نفوذ واسع على حدود البلدين. لمعرفة شيء عن ذلك يراجع

• Murat [illegible] Le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tebessa in Recueil 936- 937 Société de préhistoire et d'archéologie de Tebessa, Baconnier, Alger 1839, p. 267 - 279.

قبائل وأسر أخرى كأسرة أولاد سيدي الشيخ

ومن العوامل التي ساعدت على أن يكون هذا التعاضد الشعبي عدم وجود حدود معينة بين الإيالتين لأنها كانت حدودا بشرية غير ثابتة مثلما سبق ذكره. فتنقل القبائل في تراب الإيالتين مستمر والولاء لم يكن واحدا ومستمرا لدى أحد الطرفين.

والشاهد أن جزءا من رعايا تونس كانوا داعمين للمصالحة مع الجزائريين الثائرين، خاصة بعد عام 1830، المصلحة محكومة إلى الرابطة الدينية (ضد الكفار)، وإلى الأحلاف القبلية وإلى ما تقوم به الطريقة من توحيد روحي بين سكان البلدين حيث كانت الأرض التونسية موطن استقرار لكثير من الجزائريين، من الأعيان كانوا أو من العامة من ذلك أن شيخ أولاد عبد النور وهو المرابط الصادق بن يحي اصطحب معه وثائق هامة وسفر في الكاف[1] الشيء نفسه قام به الحاج محمد الصغير خليفة الأمير عبد القادر على بسكرة الذي جاء إلى التراب التونسي وهو الآن دفين تونس، ويمكن أن نعرض مجموعة من المراسلات النادرة هذه الشخصية مع رجال الحكم التونسي نذكر منها:

- الأولى إلى مصطفى خزندار في تاريخ 15 جمادى 1260هـ 1844.
- الثانية إلى صاحب الطابع في يوم 16 جمادى 1260هـ /1844م.

(1) Ch. Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine op. cit. p. 5

- الثالثة إلى صاحب الطابع في 2 رجب 1262 هـ / 1845م.
- الرابعة إلى أحمد باشا في 3 رجب 1262هـ/1845م.

جاء في الرسالة الرابعة أن محمد الصغير وجد في تونس الأرض الطيبة للإقامة حيث قال: "بأن أمرك المطاع قدم إلى سيدي قايد نفطة في شأننا بأن يدخلوا إلى إفريقية أو نخرج من العمالة... ولم يمكننا الإقامة هنا امتثالا لأمر سيادتكم فها أنا انتقلنا إلى سوف وبقينا منتظرين لأمرك فإن أمرتنا بالرجوع فنرجع"[1].

وتناولت الرسالة الثالثة الموضوع نفسه حيث طلب فيها السماح بنزول الخطوة من باي تونس والسماح له باللقاء في هذا البلد بعيدا عن خطر العدو[2]

الرسالة الثانية إلى مصطفى صاحب الطابع قدم به وصف عن حروب حي خاضها ضد كل من الفرنسيين وشيخ عرب الزيبان إذ قال: "إن عدو الله الفرنسيس كلف حليفه المتولي أمر العرب والزيبان بمقاتلنا عدو الله بن قانة فوقعت بيننا وبينهم معارك نحو الخمسة عشر معركة وفي هذه السنة أقبل علينا ولد الراي[3] ...وهاجر ناس البلاد"[4].

الرسالة الأولى إلى خزندار يعلمه بحروبه ضد الفرنسيين وانتصاراته "لكن

1 ـ ملحق رقم 4
2 ـ ملحق رقم 5
3 ـ ولد الراي وهو الدوق دومال الذي يعني ولد الملك (Le Roi)
4 ـ ملحق رقم 6

في شريف علمكم أن عدو الله ولد الراي قبل إلى نواحينا ووقعت بيننا وبينه محاربات"[1].

يستنتج من هذه المراسلات وغيرها أن كثيرا من أعيان الجزائر وقادة المقاومة بها كانوا على اتصال دائم بتونس يشكون الأخطار ويرون فيها ملجأ لدى تهديدهم بخطر العدو، لأن تونس كانت مقرا هادئا لوجهاء الجزائر ومعبرا آمنا لتأدية فريضة الحج، إذ كان الوجهاء يتوجهون مزودين برسائل تزكية من شيوخ الطرق "الصوفية" ببلادهم تشفع لهم ويرجون حسن الإقامة من حكام تونس؛ من ذلك أنه جاء في إحدى الرسائل التي وجهها خليفة أبي الحسن السيد علي بن عيسى مرابط جرجرة على الطريقة الرحمانية إلى حاكم تونس "سيدنا أمير المؤمنين إن حامل الورقة إليكم رجل صالح نسبه شريف خرج مهاجرا والآن أراد القدوم إلى بيت الله الحرام أن تكون في عونه.."[2].

يفهم من مراسلات رجال السلطة التونسي أن الجزائريين لا يضايقون حين قدومهم إلى تونس والاستقرار فيها، خاصة إذا كانوا مواطنين عاديين غير مبعدين من السلطة الجزائرية وقد أكد مصطفى باي هذا بقوله "وإذا كان من غير الأعيان وكان طالبا للمعيشة في بلدنا فلا نعتني بقدومه ولا نسأل

1 - ملحق رقم 7
2 - ملحق رقم 8

عنه فهذا إذا الوجاق المستوية أهله يتمعشون من بعضهم"[1].

هذه إشارات عن العلاقات في بعدها الشعبي، الأمر الذي يؤكد ما للأخوة الإسلامية من تأثير بالغ على هذه العلاقات.

أما عن العلاقات الرسمية بين الولايتين فهي كانت مشوبة بالحذر والترقب، خاصة أثناء فترة حكم حمودة باشا، وهي الفترة الحاسمة في تاريخ البلدين، إذ كانت مشدودة إلى مشاكل كثيرة، منها مشكلة التخوم "الحدود بين البلدين، ومشكلة الولاء للباي والأسرى، ومشكلة الوصاية العثمانية والامتيازات الأجنبية. إذ أن التخوم أو الحدود بين البلدين لم تكن مرسومة سياسيا خلال العهد العثماني وإنما كانت محددة اجتماعيا بعواطف ولاء السكان المنتشرين على حدود البلدين والمتنقلين من جهة إلى أخرى حسب الظروف والمصالح.

وكانت أهم الأعراش الرحالة والمستقرة تمثل مركز التأثير على الحدود، خاصة تلك التي تتوطن من جهة الجزائر ونذكر منها من الشمال إلى الجنوب: مرداس وبنو صالح والحنانشة وسيدي يحي بوطالب والنمامشة والشعانبة والروابح، وغيرها من الأعراش المنتشرة إلى غاية وادي سوف. ومن جانب العرب التونسي كانت فروع الهمامة متشكلة من ثلاثة فروع هي أولاد عزيز وأولاد رضوان وأولاد معمر. بجانب عرش كل من الرغامة وورغمة والفراشيش هذه الأخيرة كانت متشكلة من ثلاثة فروع هي أولاد

1 ينظر ملحق رقم 2

ناحي، أولاد عبي أولاد غرار

وكانت العلاقات سواء بين هذه الأعراش نفسها أم التي كانت بين هذه الأعراش ومثيلتها المتوطنة في الطرف الآخر من البلد الآخر كانت كلها قائمة على العوامل السابقة الذكر، ولاسيما عامل المصاهرة، هذا العامل الذي أدى مع مرور الأجيال إلى التكاثر والامتزاج[1].

ومن العوامل القوية التي كانت تقارب بين الولايتين المدن القائمة على قرب من التخوم التي كان لها الدور الفعال في تحديد نوع العلاقات: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ومن أهم المدن الكاف التي كانت للجزائريين قبل تأسيس مدينة سوق أهراس سوقا للتجارة، وملجأ لكسب الثروة، ومركز للتبادل الثقافي. مثلما كانت توزر ونفطة موطنا لأهل الجزائريين. وكان وادي سوف وتوقرت موطني استقبال ونشاط للتونسيين، حيث كان علماء وشيوخ البلدين يفدون إلى هذه المدن من دون صعوبة. من ذلك كان العالم مبارك النوري الذي وفد إلى تونس، وكذلك العالم

1 ـ لمعرفة شيء عن هذه المصاهرة يراجع:

- A.N.T. Dossier 6, carton 504.
- A.N.T. Dossier 5, carton 504.

المكي التوزري والعربي القيرواني[1]. وقد تولى تونسيون وظائف هامة في البلاد الجزائرية، من ذلك أبو حفص عمر بن محمد الذي أسندت إليه مهام القضاء العسكري في عهد الباشا محمد بكداش. ومثله محمد زيتون الذي تولى القضاء الحنفي في عهد الباشا شعبان خوجة.

وتحول علماء تونسيون إلى البلاد الجزائرية أمثال أحمد بن مصطفى برنار[2]. ومن الجانب الجزائري هاجر وتوطن كثير منهم في تونس، أفرادا وأسرا منهم أسرة المقراني وبوعكاز وبنو سحنون وأبناء عزوز وأبناء بوقوطة، وغيرهم الذين هاجروا نتيجة ضغط السياسة الفرنسية المجحفة ورفضهم لها. وكانت هذه الأسر الدعم الكبير للثورة التحريرية فيما بعد.

ومن القضايا ذات المصير المشترك التي كانت توحد الصف بين الشعبين محاربة بعض القبائل لبايات الولايتين، مثلما وقع مع الحنانشة والنمامشة

1 ـ بن محمد السنوسي [illegible]، إبراهيم، الصروف، ترجمة [illegible]، ص 3 وما بعدها. وتحدث مصادر عن دور [illegible] تونسيين [illegible] في [illegible] الجزائري ومن الشواهد على ذلك ما كتب على [illegible] بجامع [illegible] الجزائر في "الهندي بذكرته، من نظر فيها يدعو لنا بالرحمة والمغفرة، ولكاتبها محمد بن الحاج التوزري [illegible] العالية تم بناؤه على يد محمد بن عمر التونسي 1214هـ، 1799م" يراجع [illegible] رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، ش.و.ن.ت، الجزائر 1979، ص 229.

ولمعرفة تفصيل عن سكان التخوم الجزائرية ـ التونسية يراجع

- Pellissier de Reynaud, Description de la Régence de Tunis, Imp. Impériale, Paris 1853.

2 ـ لمعرفة أسماء الذين ساعدوا على إحداث الروابط بين تونس والجزائر في مجالات علمية يراجع: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص. 436 وما بعدها.

[illegible] تخلصهما من نائب قسنطينة واستعانا بقوة الحكم التونسي وبأطراف تونسية شعبية [1]. وكذلك حدث أن تدخلت بعض القبائل الجزائرية، وناصرت الصف الحسيني ضد الصف الباشي بتونس في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

ومن العوامل التي كانت تقرب بين الولايتين: التجارة التي عرفت رواجا عن طريق الاستيراد والتصدير، حيث كان الجزائريون يستوردون كميات هائلة من البرود والحبوب، وكان التونسيون يستوردون مواد هامة كالشمع، بحسب روح الرسائل [illegible] التونسي [illegible] الجزائري (المتقدم ذكره) ويؤكد هذا ما جاء في إحدى مراسلات داي الجزائر [illegible] إلى حاكم تونس "قد بلغنا ... أن البعض من مراكب إخوانه قد حمل أهله معهم بداخلها البارود والرصاص والأسلحة الحربية، وقدموا بها إلى نواحي عمالتك وسواحلها البحرية وباعوا جميعا إلى فرق قبايلها الجبلية العصاة الباغية التي لا تلتزم الأحكام الشرعية ثم اشتروا مما كان هناك مما أرادوه من الشمع وغير ذلك ... أن تنبهوا على رؤسائكم ... حتى لا يعودوا"[2]

1 ـ رفضت أعراش كثيرة الخضوع لأحمد باي قسنطينة، فقام بحملات ضدها الأمر الذي دفع شيخ الحنانشة [illegible] إلى تونس كي يلجأ إلى تونس ويحتمي بها. للمزيد يراجع
• Mercier (E.) Histoire de Constantine op. cit. p. 359-364
• A. i Efendi Souvenirs d'un voyage. op. cit.

2 ـ رسالة الداي حسين إلى محمود باشا في شعبان 1237 هـ الموافق عام 1821م بـ
• A. N. T. Doss384, Cart. 223

• ينظر ملحق رقم 9

وكانت لداي الجزائر مراسلات كثيرة مع باي تونس حول مواضيع مختلفة [illegible] في ربيع [illegible] 12هـ يطلب منه ألا يسمح بمرور عساكر جزائرية إلى ولايات الدولة [illegible].

[illegible] إلى التراب التونسي، وعملوا على إثارة الأعراش ضده فبعث إلى حاكم [illegible] وهم عاصون أنفسهم [illegible] ويحتسبون بالناس بالفساد وأنت تعرف أمور العرب"[1]. ويذكر في رسالة أخرى [illegible] ولكن [illegible] [illegible] في [illegible] ويفعلون بالأمور [illegible] التي لا [illegible] ويسوقوا من [illegible] [illegible] في نواحي [illegible] إن فعلت معهم العيب لا تلوم علينا"[2]

ومن جانب آخر حدث الشيء نفسه مع أعراش تونسية خلال [illegible]

• في هذا العام 1821 أرسلت الدولة العلية مبعوثها الذي أمر بحفظ الوحدة وترك الحرب بين [illegible] التونسي في [illegible]

1 ـ ملحق رقم 10
2 ـ ملحق رقم 11

ضد بايات تونس كثورة علي بن غذاهم، أو مع ثورة بن شبش الذي ثار شيخه الحاج حراث العرشبشي (18.6 — 1890) ضد بايات تونس، فوجد مساعدة كبيرة من أطراف جزائرية.

لا يعني هذا أن العلاقات الشعبية بين الطرفين كانت كلها تعاطفا، بل كانت في جانبها الآخر عدائية بحكم العصبية القبلية الانقسامية، إذ كانت تحدث حروب بين الأعراش المتوطنة على تخوم البلدين، مثلما هو الحال بين كل من الشعانبة في جنوب الجزائري، وبني يزيد في تونس، إذ جاء في وثائق كثيرة أن قبائل أثارت الشغب على الحدود، ففي رسالة حاكم تبسة إلى إبراهيم باي ذكر "فترانا في أشد الحصار والأبواب مغلقة، وأحاط بنا الهول من كل جانب فإن الزغادة من رعية تونس مرلسة علينا وجميع عروبت الدين بقربنا كلهم رجعوا إلى تونس، وبقينا في وسطهم العطش ليلا و نهارا فإن خرج من البلد نهب المال وقتل الرقاب، فإن عزمتم إلينا وجعلت أمرا يليق ببلدكم فتجدونا، وإن لم تجعلوا فخلفكم على الله في البلد"[1].

يعني هذا أن التحرشات كانت بين الطرفين على التخوم، ولكنها لم تبلغ مستوى المواجهة الحربية بين حكام البلدين، وبعض هذا ما أدى دفع التميمي عبد الجليل إلى القول بوجود علاقات أخوية حسنة بين السلطتين خلال حكم

1 — ملحق رقم 12

الحاج أحمد باي، وأسس حكمه على قيام كبير المساعدين للحاج أحمد باي وهو علي بن عيسى بزيارة شخصية لتونس في جويلية 1828[1].

ومع ذلك كان الاستياء بين الطرفين كبيرا، إذ ذكر أحمد باي حاكم قسنطينة في رسالة إلى حسين باشا "بلغنا جوابكم في شأن وشتاتة، وهم فرقة في وطن الحناشة هم عليهم عوايد من قديم الزمن محسوبون من رعيتهم جاري عليهم مختلطين مع غيرهم كثرت منهم الشكاية وفشى فسادهم وبانت منهم الأذية حتى تعدى شرهم لبعض من دايرتنا أخذوا سعيهم ووجد بعضه عند أحدهم فلم يأخذوا إلا رعية وطن الحناشة وهؤلاء رعيتكم المعلومة كشارن وأولاد بوغانم وورغة"[2]

وذكر حمدان خوجة الذي زار باي تونس إثر عودته من المشرق إلى الجزائر، ذكر أن الجزائريين يكنون العداء لهذه الحكومات في حق تونس عام 1826 وحتى بعد هذه الاتهامات[3] وأكد الحاج أحمد باي هذا الموقف الذي استمر إلى ما بعد سقوط قسنطينة، حيث يشكي باي تونس فكتب الحاج أحمد باي "بأنني لم أعد سوى حاكم مخلوع لا يملك أية سلطة تقريبا"[4].

1 — راجع: Temimi (A.), Le Beylik de Constantine, p. 81
2 — ملحق رقم 1
3 — راجع:
• Khoudja Hamdan, Le Miroir, op. cit. livre 1, chapitre 13.
4 — مذكرات أحمد باي، المصدر السابق، ص 84

ومن جهة أخرى يفهم من بعض المراسلات أن حاكم القالة الفرنسي، طلب سنة 1833 من الأعراش المتوطنة على الحدود [illegible] قصعا لأمر [illegible] هذا الحاكم بشن حملات قوية [illegible] ناحية جبال خمير[1].

ويمكن اعتبار هذا العمل العسكري الفرنسي [illegible] تونس. وكان لهذا التحرش رد فعل تونسي وجزائري، خاصة من [illegible] المتوطنين على حدود البلدين، [illegible] وهو ما سنبينه في حينه.

وكان [illegible] الأعراش [illegible] وكان [illegible] كان يجري بين [illegible] تونس ويمكن [illegible] [illegible] في كلا البلدين [illegible] كلا البلدين [illegible] وتونس [illegible] كثير من [illegible]

1 رسالة عمار بن علي إلى رجال السلطة التونسية في تاريخ 1249هـ الموافق لعام 1833
• A N. T Doss384, Cart 223

ومعهم من [illegible] قسنطينة، فبعث هذا الأخير إلى حسين باشا تونس يشتكي من هذه التجاوزات وقد رد مصطفى باي لأخيه حسين باشا قائلا: "وقولــــه (أي [illegible] باي قسنطينة) أن ورغة قد تجاوزوا الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا [illegible] ولا زلنا باقين على حده [illegible] ونحن موجهون من [illegible] [illegible] بأرضهم وبحدودها، فإذا وجدهم قد تجاوزوا حدهم ولو قدر شبر فإنا نرجعه"[2]. واستمر الحال هكذا إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي.

[illegible]

[illegible]

[2] ينظر ملحق رقم 2
[3] للمزيد من التعرف عما أثاره سكان المنطقة من قلاقل يراجع
• A N T Dossier 229 a 2+3, carton 2[illegible]

مسألة، والوضع الثقافي والسياسي [illegible]، الأمر الذي [illegible] يمكن توضيحها في أن علاقات التصادم كانت ظرفية ومحكومة بدوافع [illegible] سياسية. خلاف علاقات التقارب التي كانت مستمدة من الروابط الحضارية والثقافية وحتى العرقية لأن الاختلاط الأسري كان كبيرا بين [illegible] خاصة بين المتوطنين على الحدود [illegible] "أولاد" [illegible] وظل هذه الأسرة [illegible] في [illegible]، ومنهم أولاد سيدي [illegible] وأولاد يعقوب وأولاد [illegible]، وأولاد مومن، [illegible] والجوامع وطرود.

ومن مظاهر العلاقات الرسمية تبادل "الجواسيس" إذ كان [illegible] وكلاء في تونس ولم يكن هذه الأخيرة [illegible] في [illegible] وهو [illegible] ذلك يعود إلى نظرة وحدة الجزائر لولاية تونس، التي كانت [illegible] حمدان خوجة كانت نظرة تبعية.

هذا في الفترة الممتدة من 1756 إلى 1807 لا سيما بعد أن تمكن [illegible] تحقيق انتصارات عسكرية على حساب جيش الأسرة الحسينية[1].

ومن دلالات الخضوع لولاية الجزائر التزام حكام الأسرة الحسينية بدفع إتاوات في شكل هدايا [illegible] خلال فترات [illegible]

1 — Khoudja Hamdan, le Miroir, chapitre 8

جرت حروب كثيرة بين الطرفين يمكن مراجعتها في

• Mohammed (S. B. Y.), Chronique Tunisienne, tr par Victor (S.), et, Lasram, éd. Bouslama, Tunis 1978, chapitre 12, et, p 34, 44, 47

حسين بن علي إلى الحكم عام 1756 بدعم عسكري "جزائري"

والسؤال المطروح هو: هل كان دفع الإتاوات خوفا من سطوة ما؟

من غير المستبعد أن يكون هذا بدافع الخوف من السلطان العثماني أو من جيش الجزائر، خاصة خلال عهد حمودة باشا الذي خلف الإرادة العثمانية وطرد القرمانليين من طرابلس، وعوضهم بضابط تركي هو علي برغل (من بين 1793 — 1795)[1] زيادة على هذا إن جيش الجزائري منذ عام 1798 لم يعد يشكل خطرا على عرش حمودة باشا. ولهذا لم يخضع حمودة باشا للسلطة العثمانية ومن كان من استجابة باي تونس بالطاعة للسلطان أحيانا، إنما لدوافع دينية وسياسية، وهو ما لم يتناقض كليا مع مصلحته ولما هو غطاء أيديولوجي لواقع فرضه ميزان القوة.

وكان النظام التونسي من جهته يعتمد على جواسيس بدلا من الاعتماد على وكلاء له في الجزائر، وقد تمكن من استمالة بعض العناصر الجزائرية

1 — ذكر رشاد الإمام، سياسة حمودة، المرجع السابق، ص. 361 — 362 أن حمودة باشا رفض الامتثال للسلطان العثماني حين أمره بنصرة [illegible] وقطع العلاقات مع فرنسا إثر احتلال مصر [illegible] عند أمر السلطان بضغط من داي الجزائر. وإن كان أحمد بن أبي الضياف: أورد رأيا آخر وهو "من أن المملكة التونسية تقر له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وللسلطان العثماني بالطاعة ولم تمنع في صدر أحد أمرها دعوى بالاستقلال ولا خروج عن ربقة الطاعة الواجبة شرعا وسياسة إذ لا يدعي الاستقلال إلا من يقدر عليه" [illegible] إتحاف أهل الزمان، ج 6، منشورات الجامعة التونسية، 1964، ص 13 — 16 لكن المؤكد من جهة أخرى، أن حمودة باشا عمل على حماية تجار بلاده في مصر، من خطر الحملة الفرنسية على مصر عام 1798 [illegible]

• Cherif (M. H.), «Hammouda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne», Les Africains, p. 118.

ترصد خطوات السياسة العثمانية في الجزائر. من ذلك أن حمودة باشا جلب إلى صفه عملين ووكلاء من داخل الجزائر، وحتى من الوكلاء المعتمدين رسميا من طرف حكام الجزائر، ومنهم الحاج محمد البرادعي[1]. وبعد احتلال الجزائر صار لباي تونس وكلاء في الجزائر.

ومن مظاهر العلاقات الرسمية: المراسلات المتبادلة بين الطرفين حول قضايا [illegible]

[illegible] الجزائر إلى الولايات العثمانية[2].

ومن جانب آخر كانت العلاقات التونسية الجزائرية متأثرة بالعلاقات [illegible]

[illegible] في احتلال تونس [illegible]

[illegible]

---

1 — عرض رشاد الإمام تفصيلا موثقا عن هذه الوثيقة، راجع سياسة حمودة باشا، ص 384 — 385.

2 — A. N. T Dossier 384, cart 223.

3 — سبق لحاكم طرابلس منذ عام 1558 أن احتل جربة، ينظر: فيرو شارل، الحوليات الليبية، ترجمة، محمد بن عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني، ليبيا 1973، ص. 164 — 165

4 — مزرقية وسلك للقبائل المغربية التي كانت في خدمة البايلك منذ أواسط القرن 17

القرمانليون إلى عرشهم برئاسة يوسف[1]، ومنذ هذا التاريخ استخدم [illegible] من قوة القبائل الموالية له، خاصة النظام التونسي الذي استعان بقبائل لبيه [illegible] بالوت و كاباو[2].

وبرغم ما ذهب إليه فيرو من أن حاكم تونس تلقى وعودا من حاكم الجزائر، بتقديم يد المساعدة له في حروبه ضد حاكم طرابلس لكن حاكم تونس كان لا يرتاح إليه لأنه يعرف نواياه وأنه كان متحالفا مع والي طرابلس[3].

وبرغم هذا يبقى رأي فيرو غير مؤسس لأن القرمانليين صاروا موالين لتونس بعد عام 1794. وإن كان من غير المستبعد أن يكون بايات قسنطينة اتصلوا بولاية طرابلس لشراء ما يحتاجه بايلك قسنطينة من ضرورات، خاصة [illegible]

[illegible] وخرج [illegible] واحد تركي حسين باي عشية بالسلاح وقدم من ناحية طرابلس [illegible] فبعث له واحد باي [illegible] الطريق[4].

[illegible]

---

1 — ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان ج. 3، تونس 1973، ص 21 — 26 للتذكير [illegible] علي برغل كان في أول أمره ضابطا في الطائفة العثمانية — الجزائرية

2 — فيرو شارل، المرجع السابق، ج. 3، ص. 712 — 713، 719

3 — فيرو، المرجع نفسه ص. ص. 333 — 340

4 — [illegible] أحمد باي إلى [illegible] من دون تاريخ ينظر ملحق رقم 13

بإقرار صلح خاصة بين ولايتي الجزائر وتونس عام 1821[1].

وكان هدف الباب العالي تقوية الصف الإسلامي العثماني بالولايات الثلاث في الوقت الذي كان يواجه فيه تحرشات من كل جهة على الرغم من أن حدة النزاع قلت بين الإيالتين إلا أن العلاقات استمرت مشوبة بالحذر.

ثالثا: موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر

تجمعت مبررات كثيرة دفعت رجال الحكم في تونس يميلون إلى فرنسا من بين مبررات العلاقات التجارية، إذ إن الباي التونسي تورط في ديون لصالح التجار الفرنسيين خاصة في عام 1829 بجانب هذا فالباي التونسي على ما يبدو استخلص العبرة من واقعة نافارين (Navarin) عام 1827 وفهم أن ميزان القوى قد تغير.

ولا نغالي في رأي وهو أن ميل حكام تونس إلى فرنسا كان مبنيا على تخوف من إقدام السلطان العثماني على ضم تونس إلى وجاق الجزائر لأن هذا غير وارد منذ عام (1587) حين قررت السلطنة تفريق الإيالات عن بعضها زيادة على هذا فقد تبين بسبب معركة نافارين أنه لم تبق سطانبول والجزائر قوة قادرة على فرض إرادتها على إيالة تونس، الأمر الذي لم يكن يبعث على

1 ـ تتوفر وثائق كثيرة حول طبيعة هذا النزاع ومحاولات الباب العالي لفضه، ينظر
• A. N. T dossier 384, cart. 223.

تخوف من خطر جزائري إلى درجة مؤثرة.

لكن تخوف الأسرة الحسينية كان من الجانب الفرنسي الأمر الذي جعل هذه الأسرة في شبه تبعية سياسية لفرنسا، نتيجة هذه التغيرات ونتيجة لدور قناصلها الذين لعبوا أدوارا هامة في ربط تونس بفرنسا.

كل هذا مهد لفرنسا لكي تحصل على مساعدة من قبل الباي حسين لاحتلال الجزائر، [illegible] حسين قبول باي تونس هذا الأمر وامتناعه عن عدم تقديم مساعدة لداي الجزائر بما كانت تعرفه تونس من أزمة اقتصادية خانقة[2].

وبالفعل اتخذت فرنسا من تونس قاعدة لتحركاتها وبدراسة موضوع الجزائر قبل احتلال الجزائر وفدت مجموعة إلى تونس في أوائل عام 1830 من "المستشرقين" ممن كانوا على دراية بالثقافة العربية الإسلامية وهم دوبيوسك وجيرادان وسارتر وركز هذا الأخير من سنوات [illegible] دمشق حيث قام هؤلاء بدور كبير لصالح الاحتلال، إذ عرفوا رجال الحكم

1 ـ من أشهر القناصل الذين لعبوا دورا هاما في تونس كان دفور وألكسندر دي (Alexandre D) وماثيو دي ليسبس (Mathieu de Lesseps) ينظر
• Alphonse Rousseau. Les Annales tunisiennes. 2e ed. Bouslama. Tunis 1980, p-p. 397 - 400
وكانت مراسلات كثيرة من أولئك القناصل حول مصالح فرنسا في المنطقة وهذه المراسلات محفوظة في
• A. N. T Dossier 82, carton 206, années 1816 à 1830.
• A. N. T Dossier 83, cart. 206, années 1830 à 1836.
2 ـ يراجع Temimi. Le Beylik P. 81

في تونس الحملة الفرنسية وأهدافها وتوصلوا إلى معرفة العوامل الممكنة لنجاحها، ووجهوا رسائل إلى الأهالي الجزائريين يخبرونهم بهدف الحملة هذه من طلبوا منهم الانضمام إلى الصف الفرنسي وكتبوا تقريرا مفصلا عن السلطة الفرنسية تضمن ثلاثة محاور دارت حول كيفية الاحتلال تجاه التحذير الذي وجهه دي بوبيك حاكم تونس في أفريل 1830 هدده من خلاله باستعمال القوة ضده في حالة تقديم المساعدة لداي الجزائر[2].

وفور تمكن فرنسا من احتلال الجزائر العاصمة استقبل دي بورمون وفدا مبعوثا من طرف الباي التونسي حسين[3] وذكر ابن أبي الضياف أن حاكم تونس أوفد يوم 21 نوفمبر 1830 كلا من مصطفى صاحب الطابع وبكات أبي ربيع سليمان إلى الجزائر العاصمة فاستقبل القائد العام كلوزيل هذا الموقف وعرض على الوفد مشروعا ومحتواه أن تتولى تونس إدارة إقليمي قسنطينة ووهران تحت نظر فرنسا مقابل مبلغ مالي تتعهد سنويا لأمير الجزائر لكنها قبلت الحكومة التونسية هذا المشروع لأهداف حاولت في تصيف تبريرها بدوافع غير مقنعة كلها، منها حقن دماء المسلمين، والحفاظ

1 Feraud (Ch.), Les interprètes de l'armée d'Afrique, Alger 1878, p.p. 161-162

2 نقلا عن Temimi (A.), Le Beylik de Constantine, P. 81

3 Serres (J.), op. cit. p. 71.

على بلاد تونس من ثورات القبائل، والمزيد من الحصول على الثروة[1]

وبالفعل أرسل حاكم تونس الآغا خير الدين على رأس قوة تتكون من 300 فارسا من المخازنية والزواوة[2]، فوصلت إلى وهران يوم 19 جانفي 1831، وكان هدفها الأول التمركز في المنطقة وجمع الضرائب من السكان[3]

وقد قيم المؤرخون سياسة البايات التونسيين بالقول: بالرغم من خضوع بايات تونس بالتبعية لتركيا إلا أن خضوعهم للدول الأوروبية كان يدهش، إليه انظر فهذا الباي حسين (1824ـ1835) يتذلل للقنصل الفرنسي ويقول:

"إني أتمنى أن يكون النصر للأمة الفرنسية... ولو جاءني من الدولة العثمانية مائة فرمان تدعوني إلى معاكسة فرنسا حليفتي، فإني لا أطيع لها أمرا ولا أسمح لأحد بتتبعه بذاته حمل السلاح ضدها... وليس أحد أشد شوقا مني إلى معاقبة عدوها الظالم داي الجزائر"[4]

منح هذا الباي قطعة أرض لفرنسا لبناء كنيسة في ربوة قرطاج وبـ

1 ـ ابن أبي الضياف، أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 3، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1963، ص. 176. للمزيد من المعلومات يراجع التميمي، عبد الجليل، "المعارضة الحملة التونسية على وهران سنة 1830"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 5، تونس 1976، ص 5 ـ 19

2 ـ توجد تسمية زواوة في كل من تونس والجزائر ففي تونس تطلق على جيوش مرتزقة أحدثها البايات المراديون منذ القرن 17 لكي يحدوا خطر الإنكشارية عنهم وأغلبهم وافدون من الجزائر وجانب منهم من "القرابة" المستوطنين شمال البلاد التونسية، وأما في الجزائر فهي القبيلة المستقرة في جرجرة ببلاد "القبايل" وهي التي كون منها الفرنسيون جيش زواوة

3 ـ ابن أبي الضياف، المرجع نفسه، ج. 2، ط 2، ص. 225 ـ 226.

4 ـ محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، ص 7، نقلا عن معاهدة العلاقات بين فرنسا وتونس، الجامعة التونسية 1969)

لأشعل بها عام 1848 فكانت سوء نشر تعاليم مسيحية في الأوساط الأوروبية الموجودة في تونس[1]. ونفس الشيء الذي سار عليه خلفاؤه أمثال مصطفى باي وأحمد باي.

لم يكتف باي تونس بهذه المواقف بل كاتب سكان الشرق الجزائري وطلب منهم التخلي عن صفه، والتوقف عن مقاومة في صفوف الحاج أحمد باي، قائلا لهم "إن الجزائر قد حل بها ما حل، وكان أمر الله قدرا مقدرا، أصبحتم فوضى وعرضة لكل حد ماضي، لا تأمنون مراتعكم، ولا تستطيعون دفاعا وبقاؤكم على هذه الحالة يفضي إلى تشتيت الكلمة واستئصال أمة مسلمة، وأن الجيش الفرنساوي لا قبل لكم به، ولا طاقة فالواجب أن تنضموا إليه وتتركوا القتال، لأنه إلقاء بالبيد إلى التهلكة، في هذه الحال المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"[2].

وكان رد الحاج أحمد باي له بأنه قادر على استرجاع الجزائر من غير استعانة.

ومن غير المستبعد أن يكون تصرف باي تونس هكذا بإيعاز من بعض رجال السلطة الفرنسية، لأنه على دراية بقوة فرنسا وضعف مقاومة مسلحة

1 محمد، المرزوقي، المرجع نفسه ص 18.

2 ـ ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، ج. 3، ص. 175 ـ 176 وكان رد ... الحاج أحمد باي خصمه هذا الأخير بالقول: "إننا فرحون بحكم الباي أحمد... ألستم مثلنا تابعين لخليفة اسطامبول ولو أنه دعينا إلى اختيار سيد غير السلطان الشرعي لما استقبلنا احتلال الفرنسيين. واغتاظ حاكم تونس من الرفض الذي لاقاه في قسنطينة فكتب إلى اسطامبول يحرض علي ويتهمني بالطغيان"، ينظر، مذكرات أحمد باي، ص 22 ـ 23

الجزائرية، رغم بوادر العمود والقوة التي تظاهر بها الحاج أحمد باي حين لقب نفسه بالباشا، ليصمد أمام التطورات المستجدة، وبخاصة أمام قوة فرنسا، وطمع باي تونس الذي ظهر واضحا بعد سقوط النظام العثماني في الجزائر، وعليه لا يستغرب من موقف الحاج أحمد باي حين يوقع في مراسلاته الرسمية بعبارة "عبده الحاج أحمد باشا بن محمد الشريف"[1] ولم يكتف الحاج أحمد باي بهذا بل ربط نظامه بالسلطة العثمانية واتخذ علما[2] وسك النقود باسمه، وقد ساعده وجود بعض المعادن المعدنية في الصحراء، وخبرة قليل من الأوروبيين على القيام بذلك[3].

كانت فرنسا كثيرة الاهتمام بتونس، حريصة على توجيه سياستها الخارجية، والتزود منها بما تحتاجه من خيول وساعدها على تحقيق ذلك، وجودها في الجزائر على قرب من تونس، إذ عرض كلوزال على مصطفى باي، أن يسمح لضابط فرنسي كي يكون في خدمة الباي ضمن حاشيته، ولكي يقوم بشراء الخيول من بلاد تونس ليتزود بها جيش الاحتلال في الجزائر حيث خاطبه قائلا "إنا طلبنا من حضرتكم السعيدة أن تقبلوا تحت جناحكم خديما العزيز فيسيان هو كمندان فهو متجه إليكم ومسيو

1 ـ ينظر

• A N T Doss. 384 document No 50

2 ـ علما أن اللون الأحمر يتوسطه سيف منشطر ذو حدين، لمعرفة شيء عن هذا العلم يراجع التميمي، عبد الجليل، "العلم القسنطيني"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 2، تونس 1974، ص 89 ـ 92

3 - A M G H226

دوفال قنصل فرنسا [illegible] عنه شراء الخيل اللازمين بعد كرنه [illegible]

[illegible] 184[illegible] إلى حضرة السيد [illegible]

باي بلد تونس [illegible] يشتري خيل [illegible]

[illegible] له في ذلك، وإن شاء الله لا [illegible] لأن موجود [illegible]

هذا ومع ذلك ليست محبتك فيهم كمثلنا"[2]

لم تكتف فرنسا بهذا "الميل" التونسي الرسمي أو بتدخلها المباشر في شؤونها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وهو محمد [illegible]

ويطالب بحقوقه[3]، وهي السياسة نفسها التي اتبعها البايات فيما بعد.

[illegible]

• [illegible] الفرنسي [illegible] في شؤون تونس [illegible]

1 ـ رسالة كلوزال إلى مصطفى باي في تاريخ 1835 ينظر ملحق رقم 14

• A. N. T. Dossier 384, Cart223.

2 ـ ينظر ملحق رقم 15

3 ـ ابن أبي الضياف أحمد، ج. 3، ص. 169

• وأفضى هذا التدخل عام 1857 إلى فرض عهد الأمان على حاكم تونس، بتوقيع أحد عشـــ [illegible] [illegible] في صفوة الاعتبار، المرجع السابق، ص. 127 ـ 134

[illegible] سية والاقتصادية [1]. بجانب التهديد الفرنسي الرسمي المباشر

• [illegible] التي فرضت على باي تونس وكان [illegible]

• سوء العلاقات التي كانت بين ولايتي الجزائر وتونس.

• أحداث الشغب التي كانت تقلق نظام الحكم على التخوم بـيـن تونـس والجزائر.

• تخوف النظام التونسي من الاحتلال الفرنسي للبلاد.

• طمع بعض البايات في الحصول على مواطن نفوذ في أرض الجزائر تحـت [illegible] فرنسا. ورغبة منهم في إدخال إصلاحات أوروبية إلى بلادهم.

• تشجيع بعض الأطراف الجزائرية باي تونس لحكم الجزائر، وهـذا مـن [illegible] اتصال إبراهيم باي وبعض شيوخ بايليك الشرق به.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صرحوا مباشرة بعد الدخول إلى طرابلس، بأن كل ولايات المغرب [illegible]

[illegible]

[illegible] تونس هو التدخل المباشر في شؤون الإيالة ودفع ضريبة سنوية

ومن جهة السلطة الفرنسية وهي في الجزائر، فقد روح الحـــاكم العـام

1 - EL -Makhtar Bey, [illegible] de la dynastie husseinite dans la naissance et [illegible] développement de la [illegible] Moderne, thèse pour le doctorat en droit. Fa[illegible] de droit et des sciences économiques, t. 2, Paris4, 1968, p. 516.

الفرنسي في الجزائر يوم 12.1.1835 فكرة فحواها إن معلومات من تونس تشير إلى قدوم أسطول تركي مكون من 6000 محارب لتغيير نظام الحكم في تونس، تؤازره باي قسنطينة الذي سيقوم من جهته بهجوم بري على تونس لينصب حاكما عليها، وأن هذه الخطة حيكت خيوطها من طرف سفير تركيا في باريس، بمساعدة حمدان بن عثمان خوجة[1].

استغلت فرنسا هذا الأمر وضغطت على الباب العالي طالبة منه إبعاد وحدات أسطوله عن المياه الإقليمية التونسية، مشعرة إياه باستعمال القوة ضد السفن التركية، التي تحاول الاقتراب من تونس.

وفي الوقت نفسه لم يتردد حاكم تونس في طلب النجدة الفرنسية للوقوف بجانبه في حالة قيام الحاج أحمد باي بهجوم على القيروان[2].

بالفعل تعقبت وحدات الأسطول الفرنسي أثر الأسطول العثماني لترصد كل تحركاته، وحذرت فرنسا بواسطة سفيرها باسطمبول الباب العالي قائلة إن أي تدخل في تونس من طرف أية قوة عثمانية سيبرر تصرفات فرنسا ويدفعها لاحتلال كل شمال إفريقيا[3]. أمام هذا الضغط تظاهر رجال السلطة

1 - أحمد، كوران، مرجع السابق، ص 59 — 62

• Esquer (G.), Corresp. du gl. Clauzel (1835 — 1837), t. 1, Larose, Paris 1948, p. 368.

2 - Serres (J.), op. cit. p. p. 33, 14 — 66

3 - Serres، مرجع نفسه ص 143 تعرض من معلومات عن سياسة فرنسا تجاه الغزو الأسطول التركية هذه، مرجع التميمي عبد الجليل "تقرير عن الأحداث السياسية بتونس خلال العشرية الثانية 1838 — 1858"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 2، تونس 1974، ص 103 — 117

عدم رغبته التدخل في تونس.

في منتصف جوان من سنة نفسها قرب أسطول عثماني بقيادة طاهر باشا من المياه الإقليمية التونسية، لدعم هذا الموقف، فأمرت فرنسا وحدات أسطولها الراسية في وهران بالتوجه بمعية وحدات بحرية موجودة في طولون، إلى المياه الإقليمية التونسية بحجة حماية المصالح الأوروبية[1].

استغلت فرنسا هذا الموقف العثماني، وجعلت منه مبررا لتدخلها في تونس، والتمهيد لاحتلالها. فوصفت هذا التدخل التركي وصحبته بكسب تأييد الدول الأوروبية مدعية أنه في حالة تمكن الأسطول العثماني من خلع تونس نظام حكمها فإن ذلك سيشكل خطرا لا على الاحتلال الفرنسي في الجزائر فحسب، بل على مركز نفوذها في المنطقة وهذا ما جعلت القضية التونسية مجالا دوليا واسعا (وهو موضوع يمكن بحثه في مناسبة أخرى)[2].

كان حرص فرنسا لقوة محكوم إلى عوامل كثيرة، منها خوفها من ازدياد النفوذ البريطاني في المنطقة، ورغبتها في محاصرة "مقاومة" في شرق

1 - Serres (J.), op. cit. p - p. 144, 150 - 151

• لمعرفة ... أوضاع تونس السياسية يستحسن مراجعة

• Khelifa Chater, Description et mutations précoloniales. la Regence de Tunisie de 1815 — 1857 op. cit

يلاحظ أن نظام الحكم في تونس كان يعيش أكثر من ضغط منها ضغط روسي وفرنسي الذي كسب ... أي احتلال جديد جربه أكثر من مرة

2 - تصف فرنسا معارضة دولية كبيرة أثناء محاولتها التدخل في تونس منها ... التي ستوقعها عدة مناطق أخرى، وكذلك تمسكا بمراجع

• Serres. (J.), p. 92, 95, 200, 203 - 204, 221 - 229

الجزائري، وبسبه مطالب التجار الفرنسيين الذين استطاعوا إمكانات استكشاف إثر رحلات انطلقت من الجنوب التونسي إلى الجنوب الجزائري[1].

وبفضل تدخلها في تونس تمكنت إلى حد كبير من حماية جناحها بالشرق الجزائري، إذ تلقت ضمانات ومساعدات من باي تونس الذي سمح لسفينة عثمانية بجنود ومؤونة، بالرسو في حرية من دون خضوعها للحجر الصحي (La quarantaine) خلافا للأمر الذي طبقته على السفن العثمانية وبخاصة الحربية منها، حيث فرض باي تونس على حوالي 150 جنديا تركيا الحجر الصحي، أرسلوا خصيصا لمناصرة الحاج أحمد باي ومعهم من النقود للذهب إلى صف الحاج أحمد باي واستولى على ما جلبوه معهم من عتاد حربي وكان أهم ما فيه 12 مدفعا[3].

من جانب آخر روج باي تونس معلومات وصف من خلالها باشا

---

1 - (*) Commerce de l'Afrique avec la Mecque et le Soudan. Paris 1849
اهتمت فرنسا بالصحراء بأن وجهت حملات كثيرة ورحلات استطلاعية وحتى الجمعيات الاهتمام بالصحراء فأسسوا "الجمعية الإفريقية" (African association) عام 1788 قصد جمع معلومات عن الصحراء لاكتشافها. بعدها بدأت الرحلات الاستكشافية كانت من بينها الإسكتلندي مانغو (Park)، الذي وصل إلى النيجر عام 1796
وبعد نشر ملاحظاتهم، منهم الفرنسي كايي (Caillie R) الذي وصل إلى تومبوكتو يوم 20 أفريل 1828، وترك كتابا بعنوان
Journal d'un voyage à Tombouctou et dans l'intérieur de l'Afrique
ثم قام دافيد صون (Davidson) عام 1835 ودوفيري (Duveyrier) الفرنسي عام 1857 تحت رعاية نابليون الثالث برحلة إلى الصحراء تمكن من التعرف جيدا على المنطقة الممتدة من الجزائر إلى الأغواط حتى إلى الأوراس ثم إلى غدامس التي وصلها عام 1860. وقد ترك كتابا قيما بعنوان Les Touareg du Nord
2 - Serres, op. cit. p-p. 44 - 45.
3 ـ مذكرات أحمد باي، ص، 61.

قسنطينة بالدعي بنزعة الانفصالية عن السلطة العثمانية، وأنه لقب نفسه الباشا وضرب النقود باسمه. فكانت هذه معلومات وقع على رجال السلطة العثمانية، الذين أوفدوا كامل باي إلى قسنطينة للتأكد من صحة الأمر، وحث السكان على مواصلة الجهاد وعدم إطاعة السلطات[1] ومن جانب آخر منع شاكير صاحب الطابع وزير باي تونس بإيعاز من قنصل فرنسا طاهر باشا العثماني الوافد عام 1836 من اسطانبول من النزول على أرض تونس للالتحاق بالبايلك الشرقي الجزائري[2].

من المواقف التي اتخذها باي تونس وكان لها تأثير كبير مخاوفه من الجزائريين من التزود بالأسلحة والبارود من أرض تونس. وقد لعب قنصل فرنسا دورا هاما في دفع حاكم تونس إلى أن يشدد الرقابة على حركة التنقل، حتى لا يتمكن التونسيون من تهريب الأسلحة والبارود إلى الجزائر عن طريق طبرقة. إذ أرسل حاكم تونس بعضا من ضباطه للقبض على المهربين للأسلحة وللاستيلاء على ما تبقى. وحول هذا الموضوع كتب باي تونس إلى قنصل فرنسا قائلا "إن حبيبنا حاكم الجزائر اشتكى بأن الحاج أحمد باي عاد على بعض عربان (الجزائر) وذكر أن ذلك بسبب استناده إلينا ويتقوى بالبارود من عمالتنا، وإن ذلك إعانة منا. والجواب إن هذا

---

1 - مذكرات أحمد باي، ص. 32 وكذلك أرجمند كوران، ص ـ ص 60 ـ 61
2 - لأي تصرفات متخذة كثيرة على مواقف حسين باي هذه ينظر ... المصدر السابق، ص 215 ـ 218

لحس تغيرت بسببه، فإن الحاج أحمد باي ما زال في عمالتنا ولا اسند إليه ونحن لا نعينه هو ولا غيره وحاشا جانب الدولة [illegible] تعتبر ما ذلك ومن المعلوم أن البارود في عمالتنا لا يأتي من برها ولا يخرج منها ومعاذ الله أن نرضى مضرة الفرنسيس ولأجل هذا نجدد لكم بالمبالغة في العسة"[1]

وفيما يتعلق بقضية الأسلحة، وبخاصة منها البارود فمشهود للجزائريين أنهم كانوا يهاجرون ويرحلون من حين لآخر [illegible] كل الجزائريين، وهي [illegible] من مصادر أن كميات هائلة من البارود والأسلحة كانت [illegible] الجزائريين وقد عملت فرنسا على مصادرتها[2].

كانت كميات البارود والأسلحة مهربة عن طريق تونس من [illegible] التي سعت بها الفرنسيين خلال هذه الفترة، فما كان منها إلا أن [illegible] منذ الأيام الأولى من الاحتلال رقابة واسعة على منطقة الشرق الجزائري وعزلتها عن تونس وطرابلس، من ذلك أن السلطة الفرنسية [illegible] حربية إلى تونس يوم 10 5 1834 لتضغط على حكمها كي يشدد الرقابة

1 ـ رسالة الباي أحمد إلى القنصل الفرنسي في تاريخ ذي القعدة 1255 هـ، الموافق 1839م ملحق رقم 16

• A. N. T. dossier 384 bis, cart. 223

2 ـ في رسالة مؤرخة في يوم 27 أفريل 1864 لأحمد خوجة قائد فرجيوة قائمة بأسماء الذين يمتلكون أسلحة وكميات البارود قدمها للسلطة الفرنسية. ينظر.

A.O. M. 2H27

لمزيد من التفاصيل يراجع كتابنا: جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في الشرق الجزائري. البعث، قسنطينة 1984، صفحة 84 وما بعدها.

على تنقل المواطنين. ثم أرسلت بعض قواتها إلى نواح من التراب التونسي لمعاينة المواقع ورصد تحركات الأفراد العاملين في القنصلية البريطانية، وتتبع عيون الدولة العثمانية[1].

لا يعني هذا أن تحرك نظام الحكم التونسي كان كله بضغط من السلطة الفرنسية، إنما كان تحركه أيضا وفقا لأهداف أخرى تتعلق بمزيد من تحقيق المكاسب، بدءا بتعيين حاكم تونس نوابا له بكل من قسنطينة ووهران[2].

لا يعني هذا أيضا أن نظام الحكم التونسي كان على قطيعة تامة سواء مع الحاج أحمد باي أم مع الباب العالي، فهو حافظ على "شعرة معاوية" إذ قدم الباي حسين هدايا للسلطان العثماني مسترضيا إياه، وإن كان القصد [illegible] يبدو من تقديم هذه الهدايا معرفة نوايا السلطان تجاه الأسرة الحسينية.

كان باي تونس على صلة بقطبي المقاومة الجزائرية هما الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر. يذكر الحاج أحمد باي بأن باي تونس بعد [illegible] المساعدة التي أتته من الباب العالي بعث له برسالة يعتذر إليه فيها [illegible] ذلك نوعية العلاقات التي كانت تربطه بفرنسا التي كان على أساسها [illegible]

1 - Serres, op. cit. p. 133-134

2 ـ مثل هذا المشروع بفعل عوامل كثيرة، منها أنه لم يحظ بموافقة حكومة باريس على الرغم من تشجيع القائد العام برتزين. لمزيد من المعلومات يراجع: A. N. T. dossier 3 carton وكذلك التميمي، عبد الجليل، "المعاهدة الحدودية التونسية"، مرجع السابق، ص. 5 ـ 19

رغب في جلب السلاح لبلاده، قال أحمد باي قسنطينة: "وقد جاء في رسالته هذه التي لم أفهم ذلك عن تمحيص [illegible]

[illegible] أحمد، [illegible] السلطان محمود [illegible]

الدنيا بأسرها تخاف اليوم قوة فرنسا"[1]

وطلب حاكم تونس في هذه الرسالة من باي قسنطينة أن يعلم السلطان من جهته بحسن نيته على أساس أن هذا التصرف إنما هو لدرء الخطر الفرنسي. يتبين من هذه المواقف التي التزم بها باي تونس تصرفه بحنكة دبلوماسية، قصد التخلص من الأخطار التي كانت تحدق بدولته.

يتأكد من المدة الخبرية التي بين أيدينا أن باي قسنطينة طلب من حاكم تونس أكثر من مرة تقديم مساعدة له بأن ينوب عنه لتقديم هدية للسلطان [illegible]

"نعم [illegible] يكون في شرف علمك أن مولانا السلطان الأعظم [illegible] والخلاف لأفحمه مولانا السلطان [illegible] مولانا [illegible] اللهم انصره وانصر عساكره اللهم حافظه وناصره وملك الدنيا والآخرة وانه قد أنعم علينا وأرسل لنا [illegible] مع [illegible] تكون مباركة علينا وعليكم إن شاء الله امين. وأنت محب وأخانا وسرنا ومشورتنا ولا لنا اعتماد إلا على الله ثم أنت. ونحن أردنا أن نرسل إليه نصيب من الخيل

1 ـ مذكرات أحمد باي، ص 61 ـ 62

[illegible] وأنت [illegible] أمورنا الظاهرة والباطنة وأنت [illegible] سببا في ركوب الخيل بالبحر، وفي إرسالهم وأنت صاحب الخير"[1]

لكن حاكم تونس لم يرسل هذه الهدية معتبرا بقلة المسافرين إلى اسطمبول، مقترحا على الحاج أحمد باي إرسال [illegible] إلى اسطنبول، عن طريق البر فكان رد الحاج أحمد باي له على أن هذا الأمر [illegible] هذا كرر طلبه لباي تونس، كي يسهل عليه هذا الطريق قائلا: "فتجعل [illegible] طريق في [illegible] وأنت أعرف هذه الأمور وأما على غير يديك لا نقدر"[2]

ويذكر الحاج أحمد باي في مذكراته، أن حاكم تونس استقبل مرسوليه [illegible] استقبال، وأبدى ما يليق بمقامه. وأرجع باي قسنطينة سبب هذه الحفاوة إلى تخوف حاكم تونس منه، لا إلى محبة فيه، لأنه كان خلال هذه [illegible] ينوي الانفصال عن الباب العالي. وبناء على هذا، فهم باي قسنطينة [illegible] الاستقبال الحسن[3]

[illegible]

[illegible] باي تونس، [illegible] الحاج أحمد

1 [illegible] رقم 10
2 [illegible] رقم 11
3 [illegible] 82 ـ 83

باي كان في وضع لا يسمح له بالتحرك خارج مقاطعة قسنطينة، وليس له من القوة ما يشكل به خطرا على باي تونس كما كان للسلطان العثماني في وضع حرج مثلما يكون من المستبعد أن يفكر باي تونس في الانفصال عن قسنطينة، لأن أهل البلاد غير مستعدين لهذا الأمر.

وكان باي تونس يستقبل الجزائريين الفارين من بلادهم، من ذلك أنه استقبل كثيرا من الجزائريين الذين لجأوا إلى تونس بعد سقوط قسنطينة، وضم إلى جيشه من كانوا في الخدمة الحربية في صف الحاج أحمد باي. وقد تم الاستقبال كذلك للأهالي التونسيين باسم اللحمة الإسلامية، إذ كان هناك تعاطف "شعبي" كبير مع أهل الجزائر لما داهمهم من مصاب.

ويمكن تعداد مصائب كبيرة لحقت بسكان الشرق الجزائري منها الحروب الداخلية بين الصفوف المحلية، والحملات الفرنسية المدخلية عليهم والكوارث الطبيعية من مجاعة وأوبئة؛ إذ جاء في كتاب صالح العنتري أن مجاعة ضربت بقوة أوساط السكان على مختلف المستويات، إلى درجة أن تغنى المداحون قولا:

القمح يا باهي اللون من شبعتك لا زيادة
أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة
آ من أنت سببت بنات الحجبة والوسادة[1]

1 – مزيد من التفصيل عما لحق سكان الشرق الجزائري بعد سقوط قسنطينة يراجع: صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974

وهو الموقف نفسه من التآزر الذي أبداه سكان الشرق بالمغرب الأقصى تجاه الجزائريين. وهو موضوع نأمل أن نوفق في بحثه مستقبلا.

بجانب هذه السياسة التونسية تجاه الحاج أحمد باي، وسكان الشرق الجزائري، وقادة الاحتلال الفرنسي كان باي تونس على صلة بشخصيات فاعلة أخرى، وفي مقدمتها جنرال يوسف المملوك[1] الذي كان له دور هام في التوسع الفرنسي بالجزائر [illegible] أحمد بن مصطفى خزندار وزير الحرب التونسي أن باشا تونس أنعم عليه بوسام الافتخار من الدرجة العليا حيث قال يوسف المملوك في هذه الرسالة "ولي سعادة العالية سيدنا باشا المملكة التونسية بعث لحضرة الوزير المكلف بأمور الجزائر والعمارات الخارجية نيشان الافتخار الدرجة العليا. نعم منه علينا ولما كان نيشان الشرف الغزير الذي أنعم به علي سعادة سيدي السلطان الأعظم ملك فرانسة صيرني أسعد الناس فإن الذي جاءني من دولتكم السعيدة ملأ قلبي فرحا وسرورا ويحق له في ذلك وأن الله سبحانه وعباده هم الذين رفعوني إلى هذه المرتبة العالية التي أنا فيها وسبب ذلك حسن ظني بالله وبالناس ولا يمكنني أن أتصف بهذه الأخلاق الحميدة إلا منكم ولما قدر الله علي بفراق من أحسن تربيتي منذ إحدى وثلاثين

1 انضم يوسف المملوك إلى الصف الفرنسي من تونس بداية الاحتلال الفرنسي، وكان من الذين احتلوا مدينة عنابة والذرعان وقالمة والأغواط. لمزيد من المعلومات يراجع:
Maurice Constantin, La vie du général Yusuf, Gallimard, Paris 1930

سنة"[1]. ومن غير المستبعد أن يكون يوسف المملوك قد لعب دورا هاما في العلاقات بين تونس ورجال الاحتلال الفرنسيين.

رابعا: علاقة المقاومة الجزائرية بنظام الحكم في تونس

يعود تاريخ علاقات المقاومة الجزائرية بتونس إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ إن كثيرا من الجزائريين سواء ممن كانوا مع فرنسا أم ضدها قد [illegible] بالباي التونسي، وكان منهم [illegible] حاكم تونس "إن الواقعة التي وقعت بيننا وبين الفرانصيص [illegible] بني أهل البوادي حين أراد التطوع إلى القصبة والاستيلاء على حرس البرود كما هو في [illegible] اصطلحنا فيما وقع وسامحنا فيما حدد من الجانبين ولم تبقى بيننا وبينه [illegible] والله تعالى ينصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين"[2].

[illegible] علاقة المقاومة الجزائرية بنظام الحكم في تونس [illegible] أن يؤرخ لها — إضافة إلى ما ذكرناه من اتصال إبراهيم باي بباي تونس — بما قام به الأمير عبد القادر من اتصال دبلوماسي برجال الحكم في تونس، حين بعث وفدا برئاسة كل من محمد الصغير بن الحاج، خليفته على بسكرة، ومحمد كاسون. كان هذا الوفد مزودا بهدية معتبرة آنذاك؛ تتكون من سيف

1 - ينظر ملحق رقم 17
2 — ملحق رقم 18

مرصع بالجواهر وخيول مسرجة بالذهب، وآنية شاي من ذهب. ولقي الوفد الجزائري من الترحاب وكرم الضيافة، ما يليق بالمقام مراعاة لشخص الأمير خاصة. وردّ باي تونس على هدية الأمير بهدية معتبرة دلالة على التجاوب والاستعداد للتعاون[1]. علينا أن نتساءل عن هدف كل من الأمير وباي تونس من هذه الزيارات، على الرغم من أن باي تونس كان يعرف أن الأمير عبد القادر عدوُّ فرنسا؟ ولا ندري ما إذا كان الأمير على علم بميل باي تونس إلى فرنسا.

وقد يكون [illegible] كلٌّ من الأمير وباي تونس [illegible] المصير المشترك المتمثل في درء الخطر العثماني التركي عن بلاد المغرب العربي. [illegible] في الجنوب الجزائري —التونسي؛ خاصة في منطقة توزر ونفطة امتدادا إلى الكاف.

1 — محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 1، مطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص 139

ومن المحتمل أن يكون هدف الأمير من جهة أخرى الحصول على مكاسب تجارية وحربية من ولاية تونس؛ إذ تؤكد بعض المصادر أن الأمير قد تزود بكميات هامة من البارود من بلاد تونس[1]

وربما كان أيضا أمل الأمير من هذا العمل: توحيد الصف المغاربي العربي الإسلامي لمواجهة التحديات الأوروبية والعثمانية. ولعلّ هذا ما يفسر اتصال الأمير بكل من [illegible] تونس [illegible] الاتصال [illegible] الذي لم يحدث إلاّ في سنوات متأخرة أي منذ عام 1840.

وهذا الاتصال لم يكن بين باي تونس من جهة وبين كل من الأمير [illegible] أحمد باي [illegible] من جهة [illegible] كان [illegible] الحسن بن عزوز[2] ورجال السلطة الفرنسية حيث كانت مراسلات متعددة من الحسن [illegible] في توحيد [illegible] الأمير [illegible] تونس، وعدم [illegible] الفرنسية وقد [illegible]

1 – محمد باشا بن عبد القادر، المصدر نفسه ص، 205 وقد أكّد هذا الزروقي في الصراع مع [illegible] 60 [illegible] 1983 [illegible]
168 –

2 – عاش الحسن بن عزوز حياة سياسية مضطربة، تقرب من البركاني خليفة الأمير عبد القادر فعينه شيخا على واحة برعاطشة عام 1837 لكن طموحه أوصله إلى زوال الحظوة من الأمير عبد القادر فعينه خليفة على الزيبان عام 1838. انهزم أمام قوة ابن قانة يوم 24 مارس عام 1840 وكان فرحات بن سعيد يحارب ابن قانة، حين نصبته السلطة الفرنسية شيخا، فعزله الأمير [illegible] 84 [illegible] "وثيقة نادرة عن موقف الحسن بن عزوز من السياسة الفرنسية في الجزائر"، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 99-100، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان تونس 2000، ص 706-693

بعض هذه المراسلات التي نذكر منها

إلى حمودة باشا حيث قال فيه "إن ظهر لك أن يكون وصلة بينك وبينه (الأمير عبد القادر) في المعرفة لتزول الأمور المختلفة وتجتمع الكلمة الشريفة (واستشهد الحسن بآيات وأحاديث في هذا الباب) فنحن بذلك بعلاء" "نعم وأنت كن فطنا لبيبا عاقلا وانظر عاقبة الأمور من حسب الكفرة ولا تظن ودهم من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة لا غير، وما شغلهم عنكم إلا نحن ولو لا نحن لرجعوا إليكم" وقد عرف الحسن بالأمير عبد القادر أكثر حين وصفه لباي تونس على أنه صاحب قوة في الظاهر وصاحب ولاية في الظاهر.

لكن موقف باي تونس لم يستمر على الود والقرب من الأمير عبد القادر، بل تغير منه لاحقا إذ منع عنه [illegible] الأسلحة [illegible] الأمير [illegible] أية مساعدة له[2]

والملاحظ أن الجزائريين عامة حكاما وعلماء، وحتى عملاء، كانوا دائمي الاتصال برجال الحكم التونسي، إذ حسب ما ذكرناهم، كان محمد [illegible] شيخ [illegible] قد اتصل برجال الحكم في تونس وبعث برسالة تحدث فيها عن بحوثه إلى تونس، وعن الحروب التي جرت بين الفرنسيين، وكل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي[3]

1 – راجع: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ش.و.ن.ت، الجزائر، الدار العربية للكتاب تونس 1983، ص 219-230
2 – لمزيد من المعلومات راجع: يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص، 80-81
3 – لمزيد من المعلومات راجع: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص 2[illegible]-249

خامساً: علاقة رجال الاحتلال الفرنسي بنظام الحكم في تونس

كانت علاقة رجال الاحتلال الفرنسي بنظام الحكم في تونس منذ الأيام الأولى للتوسع العسكري، في منطقة الشرق الجزائري، إذ إن دامريمون قبل أن يقوم بالهجوم على قسنطينة كلّف القنصل دولتر القائم في تونس بمراقبة كل التحركات في الشرق الجزائري وخاصة قوة الحاج أحمد باي واستعداداته[1].

بعد أن تمكنت السلطة الفرنسية من الاستيلاء على عاصمة الشرق الجزائري عام 1837، تدخلت في شؤون تونس؛ من ذلك أن حاكم الجزائر تحرك بقوة وطلب من حاكم تونس أن يمنع المساعدة الحربية التي كان يحصل عليها أحمد باي قسنطينة من أوروبا، عن طريق تونس. وكان رد باي تونس بأنه غير قادر على ذلك[2]

شرعت قوات الاحتلال تتوسع في مناطق كثيرة كان من بينها أراضٍ تونسية فقي أواخر سنة 1837 [illegible]
[illegible]
لأمر الذي دفع حاكم تونس [illegible]
حكومته بالتراجع عن هذا العمل. لأن المعمول به في هذا العهد أن مجال السيادة يتحدد بالولاء البشري، وعليه فخروج هذا القبائل من السيادة

1 _ A. O. M. F80 / 1673.
2 _ Serre (J.), op. cit. p. 128 - 129

التونسية يعني المس بسيادة النظام التونسي. وكان جواب القنصل أن بلاده ستعوض ما أخذته بأرض أخرى عندما يتم تعيين الحدود بين البلدين. وكذلك رد الباي التونسي: "والجواب أن هؤلاء هذا لم تلهم رعاية الجزائر سبق. ولا وقع من دولة الترك في الجزائر كلام مع تونس في شأنهم، مع ما كان بينهم من الحروب. وإنما هم في رعاية تونس وملوكها يتداولون التصرف فيهم والخلاص منهم، خلفا عن سلف"[1]

قد يكون هذا التحرش الفرنسي على أرض تونس بدافع من بعض الأوساط المالية والصناعية الأوروبية، الطامعة في الاستيلاء على ثروة البلاد، وخاصة منجم الرصاص بأم العبوش. مثلما يفهم من موقف باي تونس أنه كان حريصا على حدود بلاده، متخوفا من التوسع الفرنسي، لهذا ذكر القنصل الفرنسي في الرسالة المذكورة بقوله: "وحدود عمالتك هي التي نتصرف فيها كما وجدنا من قبل لم نتجاوزها، وما تحديد التحديد، أو إبدال بعض العمالة بجزء من غيرها، فمعلوم إنما نتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية. أما التنقيص منه، أو إبدال بعضها فلا يحسن

1 _ [illegible] في [illegible] إتحاف أهل الزمان، تحقيق أحمد عبد السلام، الباب السادس، تونس، 197[illegible]، ص 48 - 49

* جرت مراسلات [illegible] بين حاكم تونس والسلطة الفرنسية حول ضمها لفرع من قبيلة [illegible] لمعرفة تفاصيل هذا يمكن مراجعة

* Khelifa Chater, Description et mutations precoloniales, la Regence de Tunisie de 18[illegible] - 1857 op. cit. p. 501 - 504

ما بغير إعلام مولاي السلطان"

ومن المستبعد أن يكون موقف باي تونس عن حسن نية تجاه السلطنة العثمانية، أو طاعة منه للسلطان العثماني، إنما كان تقية واستظهارا بأنه من حكام التابعين للسلطان؛ لعله يرهب فرنسا حتى لا تقدم على احتلال جزء من أراضيه، لأنه لا توجد ذريعة أخرى غير هذه. ووافق هذا موقف الباب العالي، الذي ناصر الحاكم التونسي في مطالبه تجاه فرنسا[2].

لم يسكت باي تونس عن حقوقه التي نالت منها الأطماع الفرنسية، فبعث وزيره مصطفى خزندار في أفريل عام 1839 إلى ملك فرنسا، قصد تصفية ما تعكر من أجواء بين البلدين. لكن فرنسا لم تتوقف عن مد يدها [illegible] ضغوط على قائد مدينة الكاف. ولم تتوقف عند هذا الحد بل أعلنت عن نيتها في الاستيلاء على المناطق الممتدة من القالة إلى طبرقة وجبال خمير، وصولا إلى أولاد علي[3]. ووصل الأمر إلى تشكيل لجنة فرنسية – تونسية في

1 A. N. T. Doss. 84 bis, cart 223
2 El Mokhtar Bey, op. cit., p. 1004
3 El Mokhtar Bey, p. 1006 - 1008

سبتمبر عام 1843 لدراسة مشكلة الحدود[1].

وقد استمرت العلاقات التونسية الفرنسية في تقارب بتبادل الهدايا والزيارات، إذ أوفد باي تونس عام 1844 أحمد أميرلاي الخيالة للاتصال بالدوق دورليان، وكذلك صالح شيبوب سنة 1847 للاتصال بالدوق جوانفيل[2] ثم [illegible] الفرنسي عام 1846[3]. وفي السنة نفسها قام باي تونس بزيارة رسمية إلى باريس. وتتالت البعثات الرسمية التونسية إلى باريس بعد هذا التاريخ.

وعلى الرغم مما توصلت إليه هذه الزيارات من تصفية الأجواء العدائية، إلا أن الحكومة الفرنسية في باريس وسلطتها [illegible] في [illegible] ضد باي تونس، نذكر من ذلك ما وقع عام 1844 حيث واصل روبدون هجماته ضد العائل التونسية، الأمر الذي دفع الباي التونسي إلى توجيه أوامره إلى السكان، بمنعهم من تقديم المساعدة إلى الثائرين الجزائريين حتى لا تجد

1 — El Mokhtar Bey المرجع نفسه ص 1008 — 1010
2 المرجع نفسه A. N. T. Dossier 45 Carton 205
3 ينظر A. N. T. Dossier 138, carton 209
خصوص الزيارات التي قام بها رجال الدين المسيحيين من الجزائر إلى تونس يمكن الاطلاع عليه في
• A. N. T. Dossiers. 775, 778, cart. 64
ينظر كذلك الجيلالي، الحبيب، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي"، الأصالة، العدد 16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1973، ص 23 - 36

فرنسا مطية لاحتلال تونس، وأرغم باي تونس عام 1847 الحمامشة على الخروج من أرض تونس بضغط من فرنسا. ومع ذلك قام قائد قسنطينة عام 1852 بالهجوم على قبائل تونسية، حجته في ذلك ملاحقة الفارين الجزائريين. وقد ارتكبت القوات الفرنسية جرائم بشعة في حق التونسيين، الأمر الذي دفع الباي إلى رفع احتجاجات ضد الفرنسيين وطلب من فرنسا رد حقوق رعاياه، إلا أن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك.

لم تكتف السلطة الفرنسية بالتحرشات، وطلبت رسميا من الحكومة التونسية بدءا من عام 1854 الامتناع عن تقديم أي مساعدة إلى الثائرين الجزائريين ومنهم الشريف إبراهيم بن فارس بن محمد بن عبد الله، الذي لجأ إلى التراب التونسي، فطالبت السلطة الفرنسية بإخراجه من ترابها بمعية من معه وعلى رأسهم الحاج محمد الصغير بن الحاج خليفة الأمير سابقا استجاب باي تونس لهذا الطلب، وأرسل للسلطة الفرنسية عن طريق قنصلها قائلا: "أما بعد فإن رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد، وأمرنا بطرده وإبعاده وعدم قبوله، ثم هرب بمن معه وأغار على العطارنة من رعيتنا بين نفطة وتوزر فإننا لا نأوي القائمين في عمالتنا ولو لم يصدر منهم ضرر"[1]

ومن جهة الجنوب الجزائري والتونسي كان الاتصال بمبادرة من الجنرال ديفو، حين أرسل عام 1856 إلى علي الساسي قايد الجريد، بمكتوب فيه مودة

1-A. N. T Doss 384 bis, Cart223.

دبلوماسية دعاه فيه إلى ربط العلاقة لسعادة سكان الدولتين حيث قال: "وهو أن ابننا سي علي بن عمر خليفته سوف يتوجه بعض شهر إلى نفطة ليتم بعونك سلاك ما أوصيت به سيادة الباشا عوض عم أحمد محمد بوعلاق لأهل الواد من الأثاث … يمكنك ابننا سي علي بن عمر بالدراهم التي أخذوها خدام قايد بسكرة … وإلى الآن ما وجدنا سوى العافية التامة في كل الأوطان التي دخلناها. وسنبذل كل الجهود أن تكون هذه العافية دائمة بحيث أن لا يقع شيء من الخوف … أو لناس الزيبان من وطننا وإن كانت لك شكوى على أحد من وطننا فالمرغوب منك أن تكتب"[1]

وبتولي محمد باي الحكم بتونس (1855 — 1859) حاول التقرب من القادة الفرنسيين لدرء الخطر الفرنسي عن بلاده، فاغتنم مناسبة تعيين راندون لرتبة مارشال وأوفد معاونه الخاص حسن مقرون سفيرا للجزائر، وتكريس عوائد الود. إذ قال راندون في هذا الصدد: "وفرحنا بتهنيتكم لنا فيما أنعم علينا مولانا السلطان الأعظم سلطان فرانسا بتوليتنا رتبة مارشال، ومهما أسرنا في إظهار محبتكم لنا وجد خلاصة كبراء دولتكم السعيدة. فقدما من أرسلت حضرتكم إلينا بالفرح والسرور، كما يناسب شأنهم ويليق بمقامهم وخصوصا المعظم الأشجع السيد حسن المقرون أمير لواء دولتكم"[2].

1 - ينظر ملحق رقم 19

2 — رسالة راندون في تاريخ 2 ماي 1856، ينظر الملحق رقم 20

وحسب ابن أبي الضياف لما [illegible] نابليون الثالث الجزائر أوحى قنصل فر[illegible] ليون روش لباي تونس المشير محمد الصادق، أن يؤدي له زيارة مجاملة، فاصطحب الباي وزيره الأول مصطفى خزندار ووزير الحرب مصطفى [illegible] آغا، وغيرهما من كبار الدولة. وخرج يوم 15 سبتمبر عام 1860 وتم اللقاء بتبادل عبارات الود والهدايا[1]. وقدم له في تلك المناسبة نص الدستور التونسي (قانون الدولة) وهو أول دستور تصدره دولة إسلامية.

لكن محاولات التقرب هذه من حاكم تونس والسلطة الفرنسية، لم [illegible] المقاومة الجزائرية من مواصلة نشاطها [illegible] مناصرين تونسيين لهم، الأمر الذي ساعد [illegible] عمليات حربية، زادت في توتر العلاقات بين السلطتين الفرنسية والتونسية.

وقد كان مقتل الكولونيل برست يوم 17 [illegible] 18[illegible] على الحدود التونسية الغربية شرق لوره، قرب محلة الجنرال بريكو حاكم عنابة من طرف أولاد تليل الذين هم من رعايا الجزائر، استقروا بتونس قبل هذه الحادثة بسنتين، كان لهذا المقتل رد فعل كبير من طرف الفرنسيين الذين راسلوا حكام تونس، يلومونهم ويطلبون منهم إلقاء القبض على المجرمين. وقد كتب كل من [illegible] حاكم عنابة، ولاهسي حاكم سكيكدة وديمو حاكم قسنطينة، إلى حاكم تونس وكاهيه لكاف يؤكدون على أن قاتلي "الكولونيل برست في التاسع

1 ـ ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، ج 5، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1964، ص 4، 42.

عشر من شهر أكتوبر قرب نزلة دار محلة الجنرال بريكو هم من عرش أولاد تليل ومن عرش شارن"[1].

تؤكد لنا الوثائق التي بين أيدينا أن أحداثا كثيرة مماثلة لهذه الحادث وقعت على الحدود الجزائرية التونسية، الأمر الذي يثبت حقيقة وهي أن هذه الأحداث لم تكن معزولة بل كانت ضمن عمل "المقاومة الجزائرية التونسية" التي [illegible] كل من [illegible] ناصر بن شهرة [illegible] المقاومة جنوب شرق الجزائر [illegible] وكوّن جبهة جهاد قوية مع كل من بوشوشة، والشريف محمد بن عبد الله، وأسرة المقراني. وكان لهذه الأحداث من جهة أخرى مبرر للسلطة الفرنسية للتدخل أكثر في الجهات الغربية من العمالة التونسية

وكانت قلاع هؤلاء المقاومين زاوية نفطة الرحمانية ومعروفة بـ[illegible] [illegible] قسنطينة في [illegible] [illegible] الاحتلال [illegible] الدولة التونسية قد [illegible] مرة أخرى في هذه الدراسة [illegible] ولو كلمة من ذلك قط [illegible]

1 ـ راجع مجموعة من المراسلات حول هذا الموضوع في
• A. N. T. Doss.384 bis, cart223
ينظر الملحقان رقم 21 و 22

2 ـ لمعرفة التفاصيل راجع: يحي بوعزيز، "وثائق جديدة عن ثورة ابن ناصر بن شهرة (1851 ـ 1875)"، الثقافة، عدد 31، الجزائر 1976، ص 39 وما بعدها.

عدم الاقتدار واليوم نحو ثمانية عشرًا شهر أن الأشرار الذين قتلوا رجلا من الفرانسويه صحبة الأكاندة المكتبة في أم الأرنب، فهم إلى الآن سارحين بالكاف أو بنواحيه وهما جواريين فيا هل ترى هذا نوع من التحريض في قتل الكولونير ومن ضعف الدولة التونسية في شأن الناصر بن شورة الذي هو لازال في قبضة عمالتك، مشتغل بالفساد والتشويش وغير ذلك فهو هو جهاد، تحت حماية قايد الجريد (الجريد) وقيمه عدد معطه وربما هو أن القايد المذكور أتى لأرضنا وغزا على عربانا الآن نحو شهرين حتى وصل إلى العوينة والبي (كذا) داخل عمالتنا وبعيد على الحدادة ثمانة ميل وكذلك الفعل أيضا في شأن محمد بوعلاق وفي شأن جميع المسببين في البارود وفي جميع جموع القطف الذين أتو (كذا) في الشهر الفارط لأرض بني صالح وفعلوا ما فعلوا من النهب والقتل. وأيضا في شأن المفسدين وقطاع الطرقات الذين يتوجهوا إلى أسواق نواحي الكاف ويبيعوا ما سرقوا ونهبوا من بلادنا[1].

وعلى ما يبدو أن محمد باي تونس قد تفطن إلى حقيقة النوايا الفرنسية المهددة جزء من بلاده، فحاول أن يوجه الأمور بإحداث تقارب بينه وبين السلطة العثمانية[2].

1 — من دي مو إلى روسون في تاريخ 7 نوفمبر 1857 ملحق رقم 23 ينظر:
• A. N. T. Dossi 248. cart 213.

2 — يرجع التميمي عبد الجليل، "تقرير عن الأحداث بتونس..."، المرجع السابق، ص 103 — 117.

الخلاصة

نخلص مما تقدم إلى القول: إن العلاقات بين الشرق الجزائري وتونس متأصلة، وممتدة الجذور، ومتعددة الجوانب، في أكثر من مستوى. فهي علاقات على مستويين رسمي حكومي و"شعبي". وكان ما يحدث في منطقة كل طرف يؤثر في جميع الطرف الآخر. [illegible] مشكلات الجماعات المتوطنة على تخوم البلدين، أثر كبير في تحديد مصير البلدين نظرا [illegible]

وكثيرا ما عرفت المنطقة داخل البلدين أحداثا كثيرة، كانت لصالح القوى الخارجية حيث استغلتها فرنسا وتمكنت من إحداث موطن نفوذ لصالحها في كلا البلدين.

ويشهد لتونس بدعمها للمقاومة الجزائرية إذ توحدت العلاقات بين الشرق الجزائري والشعب التونسي بعد الأمير عبد القادر ثم بعد [illegible] المراحل الأولى من التوسع الفرنسي في الجزائر. في وقت كان فيه نظام باي تونس "يميل" لفرنسا تحت ضغوط مالية تجارية. وقد يكون هذا التقارب طمعا في ولاية الشرق الجزائري والحصول على نصيب [illegible] في مستقبله. ومن غير المستبعد أن هذا الأخير على علم بنيات باي تونس ومع ذلك تصرف بحكمة، لأن همه لم يكن التوسع في تونس، بل الدفاع عن منطقته المهددة من دون أن يفتح جبهة ضده، حيث كان حريصا على تبادل المراسلات الرسمية مع باي تونس. مثلما كانت المراسلات متبادلة بين باي

تونس وكل من الفرنسيين وخصمه الأمير عبد القادر

وتحت وطأة هذه الضغوط لم يجد باي تونس مخرجا للتخلص من التدخل الفرنسي في شؤون تونس الداخلية، و لم يجد حلا غير الوقوف مع فرنسا في احتلالها للجزائر، على خلاف الموقف الشعبي التونسي الذي واصل دعمه للجزائريين

الملاحق

ملحق 4. الحاج أحمد باي قسنطينة إلى باي تونس

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأمنع الأمجد الأنجد الأوحد الأرشد إلى حضرة الأرضى السيد حسين باي باشا تونس المحمية أيده الله بمنه وأمده بعونه السلام الأتم الشامل الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه العميم [illegible] ولا غرو بعد حمد الله جلت قدرته وتقدست كمالاته إلى الخيرات الوافية الضافية ونعم الله المتتابعة المتوالية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها واستمرارها علينا وعليكم بكرة وعشية بجاه أشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية فموجبه [illegible] ولا سؤال الكثير عنكم وعن أحوالكم المرضية أجراها الله على منهج السنة ثم ما تطيب به نفسكم الزكية وثنايا رعاكم الله وبارك فيكم قد اتصل [illegible] خطابكم [illegible] بإنهاء ذلك العدد ليد الوكيل وقد عشتم برا كما هي شيمتكم وصنعكم جميل [illegible] من أبو حسب للازم عادتكم ثم هو من رعيتنا مثل المراودة[1] وغيرهم [illegible] ويتكرر هذا خدامكم الذين هم عمالهم فوجه بعض عدد من يعطف عليهم وييسرو مكسهم ويجيروهم فلان مع فلان فهذا نصف [illegible] لله يردهم لبلادهم من وطنا ومع ذلك أن مأوى من يريد بجوارهم فتتأكد المحبة وتتجدد الأخوة والمودة وقد منعنا من [illegible] خطابكم به الاحتشام وكثرة الإطناب في الكلام لأن رعيتنا مع الرغامة[2]

1. المراودة هم من رعايا حكم الجزائر
2. الرغامة هم عرش من رعايا حكم تونس

وشارن[1] وأولاد بوغانم[2] مثـــل وأولاد خيـار[3] وبني فرقـار[4] وغيرهم لا يمكن السكوت عليهم ونحن اخوة وابرم بين أصدق صلح وأتم محبة ومودة ونعلم أنك لا يرضيك ذلك ولا يحسن لديك من ناحيتك كما أننا عند [illegible] محبوب وسالكون هذا الأسلوب ثم إن بعد [illegible] وجه حضرتكم الجواب لسبق بعث جوابكم في شأن وشتاتة وهم فرقة في وطن الحنانشة لهم عليهم عوايد[5] من قديم الزمن محسوبون من رعيتهم جاري عليهم مختلطين مع غيرهم كثرت بهم الشكاية وفشا فسادهم وبدت منهم الإذاية حتى تعدى شرهم لبعض من [illegible] رعيهم ووجه بعينه بعد أحدهم فلم يأخذوا لا رعية وطن الحنانشة وهؤلاء رعيتكم المرسومة كثيرون وأولاد بوغانم وورغة[6] ( ) في أمن وأمان لم يمسسهم أحد بسوء ولا يقع إن شاء الله ما دمنا بالصواب أكرمك الله أن يبير الأمر ويسد هذا الباب بيرد كل رعية عنه وردعها عن الفرار من مقرها [illegible] وتكون العافية في الوطنين ويصلح [illegible] والدستور الأعظم بعون الله وقوته وفضله آمين[7].

1 شارن هم عرش من رعايا حكم تونس
2 أولاد بوغانم هم عرش من رعايا حكم تونس
3 أولاد خيار هم من رعايا حكم الجزائر
4 بنو فرقان هم من رعايا حكم الجزائر
5 عوايد هي ديون وعائدات
6 ورغة هم عرش من رعايا الحكم التونسي
7 رسالة الحاج أحمد باي قسنطينة إلى حسين باي تونس في تاريخ 1826

A.N.T Dossier 384.Cart223

والسلام من الفقير لربه سبحانه عبده الحاج أحمد باي وفقه الله آمين في 24 رمضان 1242.

زيادة خير أن ورغة قد تعدوا الحد الفاصل بينهم وبين الحنانشة وهذا السبب يقع بينهم الفساد وإن شئت فابعث من قبلك من يقف على الحد المعروف والرسم الفاصل المألوف فإن الكثير والجم [illegible] من معشر تونس يعلمون ويتحققون لكن إن شاءت ورغة أن يحرثوا ببلادهم بأجر المعروف عندهم [illegible] فلا تقع شكوى لأحد ولا ترفع لأحد منهم قصة إن شاء الله

ملحق 2 مصطفى باي لأخيه حسين باي

ARCHIVES GENERALES

[illegible]

الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(..) المقام الذي حل ارتقاه في معارج الفخر وإلى منتهى السيادة لمحمد مفاخره تسمو (...) مفاخر وأصبحت بتواتر مكارمه الأيام والليالي معام ذي المحد الحقيق بعطر الثناء والخصوص [illegible] لم تجمع لغيره في ... المجيد بسر الله ورده لاي أخينا سيدي حسين باشا باي لازالت أيامه باسمة الثغور والثغور[1] محمية بصوارمه إلى يوم البعث والنشور[2] أما بعد [illegible] حضرتكم [illegible] (...)[4] جوابكم [illegible] وصحبته جوابان وأطلعنا على جميعها وفهمنا معناها وما سطرت [illegible] أسعدكم الله في [illegible] من [illegible] جهوا جواب باي قسنطينة لباشا الجزائر[5] بطبع عليه أو توجهه رجلا عاقلا عارفا من حضرتكم ليبلغ عنكم ما تأمره بتبليغه بإتقان وضبت ما تخبر [illegible] بما يظهر لنا من الرأي في ذلك كله صار في علمنا والذي ظهر لنا رعاك الله بعد أن حضرنا الشيخ سي محمود الأصرم باش كاتب وابننا صاحب الطابع وولدنا يوسف بن فرحات باش حانبة وخاطبناهم في النازلة المذكورة فاتفقت آراؤنا على أن توجيه الجواب بعينه لباشا الجزائر يكون شكاية بمرسله لحضرة السيادة ومن [illegible] أن [illegible] الجواب من غير إذن من الباشا وعدمه بمضمونه فإذا كان بإذنه فلا وجه لإرساله إليه وإما إرسال رجل عارف من حضرتكم متق لتبليغ أمركم فهو من أحسن الصنيع غير أننا نخشى ربما أن لا يعطوه مقامه ولا يسمعوا منه ذلك وإذا وقع منهم (..) مقدمه [illegible] السيادة لا [illegible] ظهر لكم أبقى الله مجدكم كتب جواب إليه

1 [illegible]
2 [illegible]
3 [illegible]
4 [illegible]
5 [illegible]

مصحوبه أن وحقف ووحقكم في عاية الامتوا والصما والحمد لله والعافيـة حاصلـه لجميع بفضل الله ولا يسعى أحد الوحقين في إداية الآخر وضرره وإذا قلم أحد مـن اعيان بلدهم فرارا من رضا من عصبهم واحما بحرم وحقنا فما له برصول عليه ويرجع اليهم كما كان وإذا كان من عير الأعيان وكان طالبا للمعيشة في بلدنا فــلا يمنعـي بقدومه ولا يسئل عنه فهو إذ الوجاق المستوية أهلها يتمعشون من بعضهم ومع دلـ ان نبه على أهل بسدنا أن لا يقبلوا قادما بينهم ولورجعوه من حيث أتا وكذلك التمـ ونه بعضا أن هذ شأنكم مع من بفر من بلدنا وكل من الوحقين حرم لأهل الوحــق الآخر كما لا يخفاكم وقوله أن ورغة[1] قد تجاوزوا الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا ! نتجاوزه ولا زلنا باقين على حده وها نحن موجهون من له خبرة وبصــارة بأرضـهم ويحدودها فإذا وجدهم قد تجاوزوا حدهم ولو قدر شبر فإنا نرجعه ونحكم فيهم فـهذا من عهدنا بكم الله عرفه به بسدده البص . لأعمى كم دم مه سمه يكه وسرمد[2] مجدكم في عز دائم وهنا وذكر طيب وثنا والسلام من أخيكم مصطفى بـاي[3] وفق الله جميع بمنه وكرمه في 12 رجب 1243[4].

1– ورغة عرش من رعايا تونس

2– سرمدي الدائم مالا أول له ولا آخر.

3 - كان مصطفى باي في هذا التاريخ على رأس محله بالجريد لأنه بعد وفاة والده تولى رئاسة محلة جباية الضرائب ثم عين بايا عام 1837

4 - من مصطفى باي لأخيه حسين باشا في تاريخ يوافق 1827م

A N T Doss er 384.Cart223

يوجد خلف هذه المراسلة ختم معوش مكتوب عليه (تعمر في الخطايا 1235 عبده مصطفى بك يا رزق البر ي)

ملحق 3 قبائل وأعراش بالشرق الجزائري

Noms des Tribus		Achour		Sold
		Blé	Orge	
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

ملحق 4. الحاج محمد الصغير إلى باي تونس



الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أسعدكم الله سعادة أبدية وحفكم بألطافه الخفية وأيدكم بنصره بكرة وعشية بجاه صاحب الطلعة الزكية عليه أفضل الصلاة وأزكى تحية حضرة المعظم الأرفع والهمام الأنفع صاحب الرايات المنشورة والجيوش المنصورة المجاهد في سبيل رب العالمين وحارس ثغور المسلمين أمير المؤمنين نصره الله مولانا المشير سيدنا أحمد باشا باي أمدك الله بنصره وبتوفيقه و[illegible] هدايتك إلى طريق الخير والسلام وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته و[illegible] وإنعامه وبعد بأن أمرك المطاع قدم إلى سليم قايد نفطة[1] في شأن [illegible] إلى إفريقية أو يخرجوا من العمالة نعم سيدي قد امتثلنا وأطعنا لأمر سيادتكم إلا أنه منعنا من دخول إفريقية الخوف في الطريق وشدة الحر مع كثرة العيلة (العائلة) ولم يمكننا الإقامة هنا امتثالا لأمر سيادتكم فعزمنا نتقدم إلى سوف[2] [illegible] فإن أمرتنا بالرجوع فنرجع لأننا دخلنا في حمايتك [illegible] ثم ظللنا وجئنا مستجيرين بك وجاعلين نفوسنا كأحد من عمالتك [illegible] [illegible] عيب (كذا) فإنه زور وافتراء لأننا جعلنا نفوسنا كأحد من عمالتك وإنما [illegible] لنا يكثرون القول من جانبنا ويوشون بكم بغير [illegible]

1 نفطة تبعد عن وادي سوف بـ 116 كلم
2 سوف [illegible] الجزائر (وادي سوف).
3 [illegible]

[illegible]

(كذ) لمشرق ودمتم ودمت نكم الأنعام عسى مر الليالي والأيام [illegible]

المنير ربه عبيده محمد الصغير بن [illegible]

رجب 1262[1]

1- موافق صيف 1845، رسالة محمد الصغير إلى باي تونس A N T Dossier 384 Carton 223 [illegible] 1846

ملحق 5 الحاج محمد الصغير إلى مصطفى صاحب الطابع

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

حفظكم الله تعالى ورعاكم واخصب بفضله رياض مرعاكم وأسبل ستره عليكم وكفاكم حضرة الأفضل الأمجد المرعى المبجل الزكي الأمثل ذي الشيم الزكية والأخلاق المرضية سيدي مصطفى صاحب الطابع لازالت مفاخره (تزيد) وأسبابه بالله لا تنقطع ولا تبيد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته نعم سيادتكم العلية ومآثركم الكرام السنية وبعد لا يخفى سيادتكم أ... فلما مهاجرين ومستظلين بظل الله تعالى ثم بظل السيادة العلية ومستجيرين به ود... تحت حمد... كما نعلم به من الحرمة وحماية الجار فأجرتنا وأحسنت إلينا فشكرنا بفضله عند جميع الناس ... (...) دخلنا العمالة جعلنا نفوسنا كأحد منهم ... مكروها ولم يصدر منا ما ينكر (.) الوشاة والمتحيرة ختلقوا علينا بعض الأقاويل وأرشوها إلى سيدنا المشير أعزه الله وكان ... لأنه أمرنا بالدخول إلى إفريقية والخروج من العمالة فيها نحن امتثلنا أمره ونتفسر ... لأن طريق إفريقية ما نعرفه في هاذه الساعة مع شدة الحر وقد أرسلنا جواب وعرفناه بأمرنا فإن أذن لنا بالرجوع فنرجع والمقصود من كرم سيادتكم أن تعرفه وتبصره بحالنا وتقف في أمورنا وتقصد بذلك وجه الله العظيم) أن نرجع إلى موضعنا الذي كنا به وإن خطر بباله ثم من ... ... فاقضي أنت فيه نعم سيدي إن لم يرض سيدنا نصره الله بمكثنا هنا وأراد لنا دخول إفريقية فرفقا ... هنا إلى أن يبرد الحال وتأمن السبل وحينئذ ندخل إفريقية والموضع الذي يأمرنا بسكناه ... فيه وربما يصلح

الأحوال محمد صلى الله عليه وسلم وجميع (.) ودمتم في عز الله وكفالته والسلام من الفقير لربه عبده محمد الصغير بن عبد الرحمن

2 في رجب 1262[1]

استدراك مبارك وخير يتدارك نعم سيدي أن ظهر لك فيما ذكرنا ورضي سيدنا بمانا فذاك المراد وإن لم يظهر ذلك مقصودنا منك أن تكلم سيدنا بأن يجعل لنا طريقا للمشرق وقد علمت سيدي أننا دخلنا هذه العمالة معتمدين على الله ثم عليك وأنت عين بصيرتنا ونحن أولادك فمرادنا أن تقف في أمورنا وتجعل بالك منا والله يبارك لنا فيك ويمد لنا في حياتك واخبرنا بما يكون عليه عملنا والسلام التام.

1 مؤرخ في ... 1845 رسالة محمد الصغير لمصطفى صاحب الطابع A N T Dossier 384 Cart 223

ملحق 6 الحاج محمد الصغير إلى مصطفى صاحب الطابع

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أسعدكم الله سعادة أبدية وحفظكم بألطافه الخفية وسقى أرض قلوبكم من [illegible] فيه الرحمة [illegible] جاه صاحب الطلعة الزكية عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية حضرة الأجل الأجمل الكامل الأفضل المرعي المحترم السيد مصطفى صاحب الطابع أمدك الله بعونه وتوفيقه وأدام هدايتك إلى طريق الخير وسببه وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته حاضركم وباديكم وعاديكم وبعد فأستفز عن كلية أحوالكم المرضية أجراها الله على وفق السنة النبوية فإن كنتم بخير فنحن به والمعروض على أسماعكم الزاهية وأذهانكم متلقة أن عدو الله المريصيص كلف عدته المتولي أمر العرب والزيبان عسى يديه بمقاتلة عدو الله [illegible] في [illegible] 1 [illegible] وبينهم معارك نحو الخمسة عشر معركة نصرنا (بضم النون) عليهم ونصرهم بأجمعهم خائبين مطرودين ثم في هذه السنة أقبل إلينا عدو الله [illegible] 2 بجنود غزيرة فعملنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر [illegible] البلاد [illegible] بعد ما [illegible] كأنهم [illegible] وفشلوا فلحقنا عدو الله [illegible] عسكرنا فوقع بيننا قتال عظيم وثبت الله أقدام المجاهدين فمات من عسكر عدو الله خلق كثير ورجعوا على أسوأ حالة وغنمنا منهم الأسلحة وبقيت أمواتهم بين أيدينا [illegible] فبعد ذلك جعل عدو الله عسكرا في قصبة بسكرة وخرج

1- أي عام 1843
2 المقصود به الدوق دومال

غنمهم خرفة[1] عظيمة من مدافع ومهارز[2] ومـا يتبعهم ومدد وسلاح وبارود
ودراهم وصعم وخسف معهم أخي عدو الله بن قانه وذهب هو من حيث أقبل
ممن غاب معه ذلك استفتحنا بالله وغزونا على تلك النوبة[3] وفتحنا عنوة
ليلا بالقهر ودخلت المجاهدين في وسطهم رغما فمكننا الله من جميع ما ذكرنا
وردت بعض العسكر مسكناه وغنمناه والجميع حملناهم إلى دار هجرتنا فلما
سمع عدو الله الخبر أقبل مسرعا فلم يجد شيئا مما تركه فعزم على التوجه نحونا
فقابلناه بعساكرنا والجيوش الذين من أهل الجبال معا فأنزل الله في قلبه الرعب
ونقض ما كان يهم به من اللحوق بأثرنا فانصرف إلى التل وترك نوبة مثل
الأولى ومعها عدو الله بن قانة فنحن نرجو من الله سبحانه أن يظفرنا بهم كما
مكننا رقاب إخوانهم ونرجوه أنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وأنزلنا
والقبض في أعينهم بعدمهم الله وجعل كيدهم في نحورهم والمقصود من كرم
سيادتكم أن تتحفونا بصالح دعائكم عسى الله أن ينصر الدين ويخذل الكفار
ويجمعهم دار الخسران والبوار وقد كتبنا لكم لما نعلم ونتحقق من سيادتكم
تحبون الإسلام وأشياعه وتبغضون الكفر وأتباعه، ودمتم ودام لكم الأنعام على
ممر الحياة والأيام والسلام من الفقير لربه عبده محمد الصغير بن عبد الرحمن
كان الله حيث كان آمين 16 في جمادى الأول 1260[4]

1 خرفة تعني [illegible]
2 مهارز تعني [illegible]
3 النوبة هي حامية عسكرية
4 رسالة الحاج محمد الصغير إلى صاحب الطابع بتونس في تاريخ 1844 ينظر
A N T Dossier 384 Carton 223.

ملحق 7 الحاج محمد الصغير إلى خزندار

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

حفظكم الله تعالى ورعاكم وأخصب بفضله رياض دعاكم وأسبل ستره عليكم وكفاكم حضرة السيد الأجل المحترم الأمثل الوقور الأكمل المتوكل على ربه القهار سيدي مصطفى خزندار أبقاك الله محفوظا وبعين العناية الربانية محفوظ السلام بكريم الطيب العميم كما أهدى الروض شذاه مع وصل النسيم ورحمات من الله وبركات تتوالى في السكنات والحركات وتتراوى بتردد الأنفاس واللحظات وبعد إنا نسأل عن كلية أحوالكم فإن كنتم بخير فنحن به ثم نبكي في شريف علمكم خيرا إن شاء الله وأن عدو الله ولد الذي[1] الذي أقبل إلى نواحينا في هذا العام ووقعت بيننا وبينه محاربات وقتالات والعاقبة للمتقين وقد ظفرنا الله بحركته وغنمت المجاهدين وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس والحمد لله رب العالمين ونرجو من الله سبحانه أن ينصر أعلام الإسلام ويهزم الكفر لأيام محمد عليه الصلاة والسلام [illegible] وقصدنا معرفتك ما عرفته (آداما) عليك من الخير الجزيل والفضل الجميل مكن معك [illegible] والله بصلاح حال وتتبع [illegible] لأنعام على مر الليالي والأيام والسلام من الفقير لربه عبده محمد بن عبد الرحمن كان الله له حيث كان آمين في 15 جمادى الأولى سنة 1260[2]

1 المقصود به بن سث الذي هجم على بسكرة سنة 1844
2 رسالة محمد الصغير لمصطفى خزندار في تاريخ 1844 ينظر A N T Dossier 384 Carton 223

ملحق 8 تركية من مرابط جزائري إلى باي تونس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله كثيرا كثيرا

حضرة السلطان المعظم الأمير المحترم ذي العساكر المنصورة والجيوش المشهورة والأجناد المبرورة والألوية المنشورة والأفعال المحمودة المشكورة من عمر الله به البلاد وجعله رحمة وإعانة للعباد من حضر وباد وأعني به السيد الحاج أحمد باشا أعطاه الله ما أراد وأنشاه السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ما دام الملك وحركاته وتحياته ورضوانه وفضله وانعامه والسلام التام الشامل العام على مر الليالي والأيام ولا زائد على حمد الله تعالى جلت قدرته وتقدست أسماؤه سوى الخير والعافية ونعم الله الصافية كيف انتم وكيف هي أحوالكم المرضية وأنفسكم الطيبة الزكية أجراها الله على وفق مرادكم على خير والحمد لله إن كنتم كذلك أنتم أما بعد سيدنا أمير المؤمنين أن حامل إليكم الورقة انه رجل صالح نسبه شريف وكان سابقا قبل دخول الفرانسيس جزائر مسكنه هناك وحين أخذ الرومي البلاد خرج مهاجرا وترك ماله وداره والمساكن والجنة وأقام مع المسلمين وقد هرب بدينه محبين أولياء الله مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين صار يحبه بكل ما يخصه وقد جعل له حرمة عظيمة ولم يحتج إلى شيء والآن أراد القدوم إلى بيت الله الحرام بعياله وأولاده ومهاجرا في سبيل الله من الرومي الذي أخذ البلاد وقال تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض ... كثيرا وسعة الآية وها هو قاصد نحوك رب أدام الربح وسعادة الدارين والنصر والتأييد ان تكون في عونه فالله يكون في عونكم لقوله عليه السلام والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ومن

قضى حاجة أخيه المؤمن قضى الله له سبعين حاجة أدناها إلى فقره الحديث. حتى دولتكم السعيدة وما قصدكم إلا أنكم منصورون وأوصيكم بأمره ولذلك قصدك وكانت السلطنة يجعلون له حرمة فلا بد من ملاقاتكم معه لتحلس معه وأن جعلت له حرمة فالله يجعل لك حرمة عند الخالق والمخلوق وأعني به هذا السيد اسمه محمد بن الحاج الطاهر الأمراوي مصور من بلادنا وهو شريف فإن فعلتم ما ذكر امتثالا لما ذكر فقد غرتم بسعادة الدارين ولا تسلكم بصالح الرعاية في أوقات الإجابة وعند ملاقاة أهل الخير في كل زمان ومكان على سائر الأيام والشهور والسنين والدهور ما دمت حيا فيه كفاية ودمتم في أمان الله وحفظه وعافيته وستره ورضي الله تعالى عنكم والرضا لكم آمين وعنكم منه على يد الشيخ السيد الحاج عمر خليفة الشيخ بن ... السيد علي بن عيسى جرجرة ... بتاريخ ... شعبان 1258.[1]

[1] الموافق لعام 1842. هذه رسالة من مرابط رحماني بجرجرة إلى حاكم تونس
A N T Dossier 384 Carton 223

ملحق و داي الجزائر إلى باي تونس

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

السيادة ذي المكارم الراصية والجلالة الرفيعة والمكانات العالية والعريق المعقد الناصية والأعمال الصالحة بدنة سيادة المعظم الأجل الزكي الأمجد الأكمل المرعى المبجل الأمجد الأجد الوجيه الأسعد أخينا وعمنا وصديقنا حمود باش بمحروسة بلاد تونس أدام الله تعالى له الفضل وجود سلام عليكم مع الرحمة والرضوان ودوام السعادة والعمران وما تعاقب الجديدان وطلع الفرقدان[1] وأضاء النيران أما بعد حمد لله تعالى مولانا الرحمن الرحيم ذي الجود والفضل والامتنان التي لا تحصيها لسان ولا يقوم بواجب حقها إنسان حمدا يجلب إلى المحل من أنواع الإحسان ويسوق الشكر للمبرات الحسان... الموجب ... الكتاب وتصديره في دست نظم والجواب أولا السؤال عنكم وعن المرضية أحوالكم جعلكم بخير وعافية وثانيا فإننا معكم على الوداد وإبرار قرابين الاعتداد والاتحاد ثم أنه قد بعث واخترق مسامعنا أن البعض من مراكيب الحرابة...قد حمل أهله معهم بداخلي البارود والرصاص والأسلحة الحربية وقدموا بها إلى نواحي عمالتكم وسرحوها وباعوا جميعها ... لجبلية العصابات الباغية التي لا تدعهم لا الأحكام ... ولا حسون الله مولانا رب البرية ثم اشتروا مما كان هناك من ... من الشمع والزيت وغير ذلك وسافروا ... بلادهم بما نالوه من مقصودهم ومراميهم وقد لا يخفاك يا نعم المحب الكريم والصديق فلا يخفى عليكم من الفساد الذي لا يرتضيه أحد من العباد فضلا عن ذوي الرأي

1 عرقدان أي سجن

وأرباب العقول منكم والرشاد لما فيه الإعانة والتقوية لأهل الضلال [illegible] والعناد ...فالمراد منكم والمؤكد به ما عليكم هو أكثر والوداد ساعة ورود هذا الكتاب من حضرتكم أن تنبهوا على رؤسائهم بأسرهم واجمعهم [illegible] [illegible] من ذلك حتى لا يعودوا [illegible] فإنهم إن عادوا مرة أخرى لفعلهم فإننا نأخذ جميع ما يجلبوه من ذلك بدفعهم لكونهم قد جنوا على أنفسهم هذا وأن عرضت لهم [illegible] حاجة في شراء شيء مما ذكرناه ورقمناه سابقا وسطرناه فليأتوا بمراكب مذكورة إلى بلادنا الجزائر المحمية بالله من سوء الدوائر أو بلاد عنابة أو [illegible] [illegible] [illegible] هذه البلدان لأجل خاطركم ومحبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأدمتم ...وكتب عن إذنه...السيد حسين باشا بالجزائر المحمية [illegible] شعبان 1237[1].

[illegible] خبر مبارك متورد وهو يا نعم المحب الكريم والصديق الملاطف أن المراد منكم والمؤكد عليكم أيضا أن كل من قدم من أولادنا اليولداش[2] إلى حضرتكم وفر هاربا من [illegible] بلادكم فردوه إلى بلادنا ووجهوه إلى حضرتنا مثل ما هي العادة القديمة وطريقة سابقة مستقيمة أرشدنا الله وإياكم إلى طريق الهدى والصواب ولكم جميع الأمور والأسباب بجاه النبي المصطفى الكريم وجملة [illegible] والأصحاب. والختام

---

1 موافق لعام 1821م
2 فرقة من جنود إذ كانت الكتيبة تتكون من الجنود وثلاثة ضباط هم [illegible] باش يولداش

ملحق من داي الجزائر إلى باي تونس



[illegible]

( ) نعم أحانا والدي يكون في شريف علمك أن مولانا السلطان الأعظم وخاقان الأفخم مولانا السلطان بن السلطان السلطان الجديد مولانا عبد المجيد[1] نصره و [illegible] عساكره الهم حافظه وناصره وممالك الذي والآخرة وأنه قد أنعم علينا وأرسل لنا شيعة[2] مع خديجنا [illegible] تكون مباركة علينا وعليكم إن شاء الله آمين وأنت محبنا وأخانا وسرنا ومشورنا ولا لنا اعتماد إلا على الله ثم أنت ونحن أردنا أن نرسلوا له نصيب من الخيل على قدر كما يخفاك وأنت تستر أمورنا ظاهرة وباطنة وأنت النائب علينا في ركوب الخيل بالبحر وفي إرسالهم وأنت صاحب الخير وخيرك علينا كثير والله يجازيك عنا بخير ونحن كما تعلم لم تكن لنا طاقة بالبحر عاملين على الله ثم عليك وأنت تدبر بما يظهر إليك ونحن محسوبين على الله ثم عليك ونحن أخوانا في الله ما يسرك يسرنا وما يضرك يضرنا والله تعالى عالم بأحوالنا وأنت [illegible] سعيدة وينصرك الله على أعدائك والله يسبل عليك سترة العظيم ولك الأجر من الملك العلام ولا بد علينا تدبر علينا بما يظهر لك من الراي والله يجازيك عنا خيرا وكذا نخبرك أن عمار الشابب والجوامع[3] وأنهم عاملين أنفسهم هاربين من إفريقية وجاعلين أنفسهم يسكنوا في قشهم وأثاثهم ويختلون بالناس بالفساد وأنت تعرف أمور العرب لا يخفاك حالهم وهم يسبون عليك ويقول بأمر الباشا وأنت حاشاك هذا ولا يصدر منك وأنهم أولاد الحرام من قديم

1 تولى عبد المجيد سلطة الخلافة من عام 1839 إلى عام 1861
2 شيعة يعني [illegible]
3 [illegible]

الزمان لا يخفاك حالهم وأنا كما تعلم لا فعلت معهم هذا إلا من فسادهم مع النصارى ولو كان ما جاعلين أنفسهم هاربين إليك وأنت أخي [illegible] يفعلون هذا الأمور وأنت يا محبنا نعرف أمور العرب [illegible]
[illegible]
بلدك وأما أمرهم وما تفوهوا بألسنتهم إلى الناس وأنتم ياتون بالمحنة من عندكم وأن سحنو أحمد باي من الدير(الديار)[1] والعرب كما تعلم [illegible] أقل مكان يشوش عليهم لأن هذا الكلام قد نفروا الناس حيث [illegible] وأنت [illegible] يخرج عليك واحدا لم نظنوه فيك لأنك أخينا ومحبنا وما علمك علينا [illegible]
[illegible]
[illegible]
الفقير لربه مولانا حاج أحمد باشا وفقه الله آمين

1 [illegible] القبائل خرجت من حاكم تونس قصد مصابعة [illegible] أحمد باي [illegible]

[illegible] أحمد باي قسنطينة إلى أحمد باي حاكم تونس [illegible]
قسنطينة A N T Dossier384.Cart 223

ملحق 11. الحاج أحمد باي قسنطينة إلى باي تونس



صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إلى حضرة المعظم الأرفع الهمام الأنفع الأسعد الأمجد الأرشد الأفخر الوجيه الأعدل محبنا ومحبنا وأخانا السيد أحمد باشا باي صانه الله ورعاه وعلى فعل الخير قلده وأعانه آمين السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه العميم ولا زايد إلا بالخير والعافية نعم محب قد بعث جوابك الرفيع وخطابك الواضح الجسيم وما شرحت لنا فيه [illegible] ونحن يا أخانا لا عندنا أحد غيرك وأنت مشورتنا و[illegible] ولا نعمل أمر [illegible] المسافرة إلى أسلامبول مقولك حق ولكن حق ولكن يا أخي [illegible] وصلاح وإن كان البحر عاجز على ذلك فالبر في [illegible] [illegible] والصلاح في [illegible] طريق في [illegible] ظهر لنا والنظر إليك في ذلك وأنت اعرف هذا الأمور وأما [illegible] [illegible] لا نقدر [illegible][2] [illegible] عليهم قايدا وينزلون في أفريقية فإذا هم أتوا بقايدهم [illegible] في تبسة [illegible] إيلنا والهوبر[3] وهوبر تابعا ويوقفوا عندهم وهذا لا يرضاك وكذا [illegible] تأمر قايدهم يرحلوا وينزلوا بهم في نواحي صراط[4] وان بقوا هنا ان [illegible]

1 لا يحتانا أي لا يحكن.
2 عرش متواجد على حدود البلدين
3 الهوبر هي مجموعة من الجمال والخيم
4- صراط نسبة إلى الوادي الذي ينبع من بني مراد شرق الأوراس.

معهم العيب لا سوم عيبا والسلام من محبك المفتقر إلى ربه الحاج احمد باشا باي رفعه الله آمين.

وحاق خير وعافية ونخبرك بأنهم قدموا إلى النمامشة وتحرشوا معهم بالفساد فطردوهم النمامشة وقالت لهم هذا الرأي الفاسد لا تحضروا فيه ولا تنزلون معنا أبدا ويأتيك جواب النمامشة انظره بعينه ويظهر لك أمورهم الدفعة أما جواب القائد الذي وجعلت لنا بأني لا نرسله إليه فاكتب فيه مع عساكرك ويرحلوهم من طرابا ويتركوهم في نواحي صراط ويبعدوا من طراب أصلا وإن بقوا هناك باطرابا ويعملون في أمورهم الناقصة فلا تلم عيب ساعة أخرى والسلام[1]

ونعلم محبنا بأن خيتي وابني واقفة عندهم وأما نظر فيها بعيني فوكان ما جعلت هم شيئ القائد في وسطهم لم يقدروا على مسك ابني وهو يسوى.

1 رسالة أحمد باي قسنطينة لأحمد باي تونس من دون تاريخ بعد A.N.T cart 384 doss. ..

ملحق 12. حاكم تبسة إلى إبراهيم باي

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حفظ الله تعالى ذات معظم الأرفع الاحترام الهمام الأسمى سيدنا ومولانا [illegible] ابراهيم باي[1] عزه الله سلام الله وبركاته وتحياته يليه أعلمك هو خبر عزانا في أشد الحصار والأبواب مغلقة وأحاط بنا الهول من كل جانب فإن الزعلانة من رعية تونس نازلة علينا وجميع عروشنا الذين بقربنا كلهم رجعوا إلى تونس وبقينا في وسطهم العطش.. ليلا ونهار فإن خرج من البلد نهب المال وقتل الرقاب فإن عزمتم إليها وجمعت أمرا يبقى ببعدكم فتجدونا وإن لم تجيئوا فخليكم على الله في البلد وأهلها ونحن لا طاقة لنا على دفع مضرة هؤلاء أهل البغي والفساد وإن هذه الفتن جرا عيب حين رجع الشيخ الزين إلى تونس[2] وأما أبناء علي بن يحيى وغيرهم فهم قائمون بأمرهم ولا وقعت منهم مضرة علينا سوى أولاد يحيى بن طالب الذي جرت مضرتهم علينا وإن حاسبها نخبركم بما وقع وبما جرى في هؤلاء الباغية خاصة أن العزم لم العزم إلى البلد ومن فيها وإلا فأجركم على الله وعليكم السلام من خدامكم أهل تبسة قادة مصطفى التركي وأحمد الخصاف وجميع أهل البلد تركا وعربا وجماعة الديوان السعيد والشيخ القاضي لطف الله بحال الجميع... الكريم[3] وبه ملحق خبر أن النسوة تبكي ليلا ونهارا... من شدة الخوف ويقلن يا ويلنا على عسكر الجزائر منصور بالله تعالى أن يقدم إلينا ويفرج كربتنا وذنوب من في البلد على من قبل هذه الفتن الله يفرج علينا ما نحن فيه والسلام

1. ابراهيم باي [illegible]
2. الشيخ [illegible] أحمد باي قسنطينة
3. [illegible] ابراهيم باي [illegible]

ANT Doss384.Cart 223

ملحق 13 الحاج أحمد باي إلى كاهية الكاف

ARCHIVES GENERALES
GOUVERNEMENT TUNISIEN

[illegible]

الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

حفظكم الله تعالى مقدم د ه لكرم الأجل للرعي للمحل ابنا سي صالح بن محمد كاهية الكاف السلام عليك ورحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه ولا زايد إلا بالخير والعافية منه نحن أردت أن يبعثوا عاطر[1] إلى تونس يقضي لنا قاسده[2] مهيبا من جانب الامر انصحه بلا يمع بكم معه جهاد ولكن ابنا مرادي أن نكتب إلى أخانا السيد احمد باشا على (قامره؟) فاستحيت من دث ولكن هذا الأمر ما فيه حاجة وهذا أخانا ونحن إسلام وسكنين عنيه وأنا واقف في باب الجهاد والذي يقضيه لنا كأنه نابه بالجهاد ولكن أنا استحيت أن خبره بجواب ولكن أنت تخبره من عندك وتردوا لنا الجواب وإني وجعلت إلى أخانا السيد احمد باشا عود[3] لأجل البرنس لأنه يموت في قصبه [illegible] وهذا تبرك لا غير ومتوافقين على الدين الشريف وراضين الله تعالى عنكم وأرضاكم والسلام من معظم الأرفع السيد الحاج أحمد باشا أعزه الله آمين. الحاصل خير وعافية وثم انا نحن سلام وهذا الوقت [illegible] في الجهاد ولكن [illegible] وفيه كفاية والسلام ونخبرك انه فات واحد تركي حبسي بأني بعثته بالسابق وقدم من ناحية الفرنصص وهاهو بالقيروان وبعث إلي فابعث له واحد يأتي به من الطريق وأنا خد لا يخفاك لا عندي أحد بها ابنا تبعث له أنت عاطر من عندك يأتيا به والسلام[5].

1. عاطر يعني مجموعة من الأفراد
2. حسب جاء في [illegible] (ص 81 85) [illegible] يترددون مما يحتاجونه من الحبوب.
3. [illegible]
4. [illegible]
5. رسالة الحاج أحمد باي إلى كاهية الكاف من دون تاريخ ANT Doss384.Cart 223

ملحق 14. كلوزال إلى حاكم تونس

الحمد لله

إلى حضرة سعادة الكرم المعظم الأجل الفاضل السعيد والمستور المنصور

[illegible] مصطفى [illegible] والسلام على (حضرة) سعادتكم [illegible]

محبكم وصديقكم [illegible] كلوزال أمير دولة الفرنصيص وحاكم جميع بلاد

الجزائر وبما سيدنا معروض على حضرتكم اليوم هو خير إنشاء الله (كذا) لابد

أن حضرة سعادتكم تعلمو (كذا) قبل كل شيء فرحنا غاية الفرح عن توليتكم

في السلطنة على بلاد تونس ورانا مسرورين كثيرا في دخول المكاتبة بيننا

وبينكم وأيضا مكاتبة [illegible] بيننا وبينكم [illegible] الفرنصيص

[illegible] حكم عسكره وحكم بلاد (الجزائر) وفي هذه [illegible]

بعض ولابد [illegible] تذكروا [illegible] فاليوم [illegible]

حضرتكم سعيده [illegible] حكم [illegible] العزيز [illegible]

فهو متوجه إليكم وهو مسيو دوفال قنصل فرنصة[1] حضرة سعادتكم ()عليه

[illegible] اللازمين عسكرية لأنه هو موجب التي [illegible]

[illegible] حضرة سعادتكم [illegible] على [illegible]

بجميع أن بلادكم سعيده في بلاد [illegible]

عارفين إلى حضرة سعادتكم باب) أن هذا الدخول ما يكون له آخرة لأنه

يصير بين بلادكم وبلاد (فرنصة) ابتدا المتجر وتصرف الدايم[2] اشاعت (كذا)

تونس والجزائر وحضرتكم تعلموا بصرافة عقلكم الجيد أن المتجر هو مصلحة

1 [illegible] الكسندر [illegible] شؤون القنصلية منذ 1832 بقرار وزاري مؤرخ في 29 سبتمبر 1832، [illegible] 1836

2 [illegible] البضائع

البلاد والسلطان وأيضا أن المتجر يعني البلاد وكذلك يبين (؟) الصلح والمحبة فبعد [illegible] السلاطين يحبون بالمتجر ويحافظوا عليه فلا بد أن حضرة سعادتكم تتبعوا وتامنوا عجيبا لكم حيثما تذكروا العمل الذي صار بينكم وذلك بمضي خمسة سنين فاليوم ما كان التمر ومحبتنا وقيبا لكم كما كان سابقا وربنا يعلم أن ما أعز علينا إلا محبتكم لنا ومحبتنا (قريبا) [illegible] وينصر ويوفق على حضرة سعادتكم العالية والسلام من عند المذكور [illegible] واضع طابعه الرفيع أعلاه. كاتب الأحرف عن إذن سعادة المرشال الترجمان [illegible] فرعون[1].

1 من كلوزال إلى مصطفى باي حاكم تونس يكون تاريخها 1835

A N T Doss 384 bis Cart 223

ملحق 15. بيجو إلى حاكم تونس

الحمد لله وحده والأمر لله كله

إلى حضرة المعظم الأرفع الأسمى السيد أحمد باي بلد تونس وعمالتها السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فالمعروض على مسامعكم حسن إن شاء الله هو أن سيدنا سلطان فرانسة[1] لما أرسلني إلى الجزائر وولاني أمور مملكتها أوصاني على أن يكون بيننا وبينكم مودة غاية ما يكون وهذه الوصية قد وافقت نيتي ومرادي لأحسن محبتي سابقة في كبراء حسبكم الذين لا زالوا بأرضنا هذه وسروري هو هذه المحبة بعض الخير والمحبة بيننا وأنا قد أمرت الجنرال الوالي على أمر قسنطينة[2] ونواحيها لأنه يجاورك في الأرض أن يعمل بمقتضى مرادي المذكور فإن أنت أردت تبقى (، فارسل له ولا معرض لذلك تراني مرسل لك قرطاس من (فوري) معه يشتري خيل مطلب منك أن تأذن له في ذلك وإن شاء الله لا ترده خايبا لأن موجود من بيت منه هذا ومع ذلك ليست عندك فيهم كمثلنا[3] فانا نعلم وإن الخيل بقرب بعد [illegible] قليلا ولكن حين تعطي له الإذن مع الفرمان[4] الذي مختوم بطابعكم السعيد الرفيع يمنع إلى البعد ويقضي حاجتي ولا يكون عدم الكفاية لقومك وأهل عمالتك تكون لهم فايدة ومنفعة وقد تحققت وتبين عندي القبول منك في ما طلبته منك بحيث عما خير ويعز ولايتك ويدومها ويبقي أيامك بالسرور والهنا والعافية آمين

كتبه بدار الإمارة عن إذن عبد ربه المرجو الولي على مملكة الجزائر الجنرال بيجو الواضع طابعه الرفيع أعلاه في تاريخ شهر صفر الخير 1257[5]

1 هو لويس فيليب، مع العلم أن بيجو تولى الحكم على رأس الإدارة الفرنسية في الجزائر في فبراير 1841.
2 [illegible] كاريت
3 قد يكون يقصد بها [illegible]
4 الفرمان هو [illegible]
5 موافق لشهر مارس 1841 يحفظ A N T Doss.384 , Cart 223

ملحق 16 حاكم تونس إلى قنصل فرنسا



الحمد لله وحده وإليه يرجع الأمر كله

من عبد الله سبحانه أحمد باشا باي أمير الأيالة التونسية إلى معالم القونصل جنرال دولة الفرنسيس بتونس أما بعد فإنه بلغنا كتابكم ومن ذكركم لنا أن حبيبنا حاكم الجزائر اشتكى بأن الحاج أحمد باي عار [illegible] بعض عربان الجزائر وذكر أن ذلك بسبب استناده إلينا ويتقوى بالبارود من [illegible] [illegible] إعانة ما والجواب أن هذا الص[illegible] تعرفنا بسببه إن الحاج أحمد [illegible] في عمالتنا ولا استند إلينا ونحن لا نعينه هو ولا غيره وحاشا جناب الدولة أن تفتقر ما ذلك ومن المعلوم أن البارود .. في عمالتنا لا يأتي من غيرها ولا يخرج منها وعادتنا بحفظ ذلك وضبطه مشهور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في العسة [illegible] [illegible] عمالتنا بيه كل واحد منهم على [illegible] . أن لا يتعاطى البارود وأنت [illegible] حملهم بتسكم [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] والعامية وكتب في ذي القعدة الحرام 1255 هـ[1].

[1] [illegible] قنصل فرنسا [illegible] يخ موافق لعام 1840 A N T dossier 284 bis carton 223

ملحق 17. يوسف المملوك إلى مصطفى خزندار

إلى الحضرة العالية بالله جناب المحترم السيد مصطفى خزندار وزير [illegible]

بالمملكة التونسية أسعدكم الله آمين وبعد إهداء السلام ولطائف تحية

والإكرام كما يليق بتلك المقام ورحمة الله وبركاته فالذي تعلم به سيدنا

وهو أن حضرة السيد القونصل جنرال الدولة الفرنساوية بتونس [illegible]

[illegible]

لحضرة الوزير المكلف بأمور الجزائر والعمارات الخارجية[1] بنيشان الافتخار

الدرجة العليا إنعاما منه علينا ولما كان نيشان الشرف العزيز الذي نعم به

علينا سعادة سيدنا السلطان الأعظم ملك فرانسة صورتي أسعد الناس [illegible]

[illegible]

سبحانه وعباده هم الذين رفعوني إلى هذه المرتبة العالية التي أنا فيها وسبب

ذلك حسن ظني بالله وبالناس ولا يمكني أن نتصف بهذه الأخلاق حميده لا

منكم ولما قدر الله علي بفراق من أحسن تربيتي مدة أحد وثلاثين سنة[2] [illegible]

يمض علي يوم منها إلا وأتذكر فيه الخير والإحسان الذي غمرني من دولتكم

[illegible]

[illegible]

غاية الفخر بحمل نيشان الافتخار الذي انعم وشرفني به سعادة العالية [illegible]

يوجد أحد مثلي من يفرح بالمساعدة والمحبة الكائنتين بين دولتنا ودولتكم التي

نطلب من الله سبحانه أن يدوم استرسال المودة بين الدولتين أبدا

1 الوزير هو [illegible] (Chasse-Loubat) [illegible] الجزائر والمستعمرات التي دامت من شهر 1858 إلى 26 نوفمبر 1860.

2 كان يوسف يعيش في قصر باي تونس وهرب منه نتيجة لفضيحة أخلاقية [illegible]

عن أني تعب من حضرتكم أن تحوز سعادة سيدي صاحب جميع عساكر تعصبه وتحفظ به جميع صدقي الذي لا يمحى أبدا حين كتب غير محب سوع كتابي هذ حضرتكم العزيزة فالمرغوب من فضلكم حين بلوغه لديكم تخبرون بوصوله مع حركات المعاطيسية والسلام ممن كتب عن أذنه وهو مخلص الصادق في محبته لكم حضرة السيد الجنرال يوسف[1]

1 رسالة يوسف مملوك بن وزير الحربية مصطفى خزندار في تاريخ ربيع الثاني 22/1277 كتوبر 860 A N T Doss.381 Cart 223

ملحق 18. إبراهيم باي إلى حسين باش تونس

حضرة معظم الأرفع الصدر الوجيه الأسمع الكهف الملاذ الأمنع الأعصم الأكرم الأفخم ... الأفق ... حسين باي باشا إفريقية صانه الله وحماه ومن كل شر ومكروه وقاه ورعاه آمين السلام على مقامك البهيه وحضرتك السنية في كل بكرة وعشية سلاما وتسليما وتشريفا وتكريما وتبجيلا وتعظيما تعمكم سحائبه ورحمة الله تعالى وبركاته ولا زيد بعد حمد الله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه سوى حبكم وتقبيل الكريمتين أيديكم والدعاء لكم بالنصر على من يعاديكم والمطلوب من سبحانه وتعالى أن يمدكم بمراده ويسعدكم بالسعادة ويصلح بكم البلاد ويهني بقائكم الوطن والعباد وبعد أبعد الله عنك المهالك وسلك بك أحسن الطرق والسبل فالمطلوب من كريم أخلاقك ومعدن جودك وإكرامك أن ترعى عبيد صغير أنعامك وإحسانك وتجعلنا من خاصة خدامك وأولادك بل تفردنا (عن من) أقرب لك من ذلك لأنني محسوبا عليك ومنسوبا حفظ الله جنابك وذلك عند الخواص والعوام والحضر والبوادي والأحياء والأعادي وتنظرنا بعين الرحمة يحصل لنا الأمل ويرد (عنا بذلك هذا والذي يكون في شريف علمك أن الواقعة التي وقعت بيننا وبين الفرانصيص[1] بل بيني وبين أمير بلد قسنطينة[2]. حين أراد الطلوع بقصبة والاستيلاء على البلد وخرابه ... كما هو في علمك صفحنا فيما وقع وسامحنا فيما حدد من الجانبين وتكاتبنا على العافية والصلح ويضع قفطان من قبل جران الجزائر في بلد عنابة على حسب العادة ولم تبق بيننا وبينه تابعة والحمد لله على العافية والله تعالى ...

1 يقصد به حصار الفرنسيين لمدينة ... الصلح معه
2 يقصد محاربة أحمد باي قسنطينة له

... جيوش المسلمين وعساكر الموحدين بجاه سيدي المرسلين والسلام في البدء والختام من ولدك ومقبل يدك إبراهيم باي وفقه الله بمنه[1]

الخاتم خير إن شاء الله أن رايسا من ريس البحر اسمه مرزوق جاء ... من الزرع والبيد كما لا يخافك محتاجة لذلك على مسكنه يجي عندنا ويتسوق من عندنا من شمع وجلد وغير ذلك وطلب من كريم فضلك أن تسرح له نصيب من النعمة[2] يحمله له من بلدك فاعطيه نصيبا من ذلك ولك الأجر التام من الملك العلام

1 رسالة إبراهيم باي لحسين باي هذه بعد الهجوم الفرنسي على عنابه
A.N.T. Dos384.Cart223
2 النعمة تعني الحبوب

ملحق 19. ديمو إلى حاكم الجريد

يوم الاحد ٢٥ من جمادى

يوم الأحد 25 من جمادى سنة 1273

إلى مكرم الأجل الوجيه الأقبل محبنا السيد علي النساسي قايد جريد سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحياته يليه كيف أنتم وكيف هي الرعية أحوالكم هذه وأن ابن عمكم سي عماره قد مكنا بجوابكم ففككناه وفهمنا معناه وقد تأسفنا كثيرا لعدم قدومكم إلينا لكونك لكونك انشغلت بمشارب دولتكم وقد عجبني سي عماره كثيرا وكما كلفته أنت ووصيت له أمركفها عن انقضا معهم بأن ذكره وهو أن ابنا سي علي بن عمر خليفة سوف يتوجه بعض شهر في بقصة يتم بعونك سلاك ما أوجبت به سيادة الباشة عوضا عما أخذه محمد بوعلاق لأهل الواد من الأثاث واتفق أيضا بيننا وأن بعد سلاك عماره الأثاث المذكورين لناس لواد المربورين يمكنك ابنا سي علي بن عمر بالدرهم التي أخذوها خدام قايد بسكرة في وطنهم أنها للشيخ سلمان ولبكى في عندك وانتسا عنه إن شاء الله يرحل من بو بوباب لتوجه إلى تقرين وإلى الآن ما وجدنا سوى العافية لتامة في كل الأوطان التي دخلناها وسنبذل كل المجهود أن تكون هذه العافية دائمة بحيث أن لا يقع شيء من الخوف سواء كان لناس الجريد من المسيبين أو لناس الزيبان من وطن ليلا أو نهار وهنا انعم أحباء المودة الكاينة بين الدولتين ويبقى خير الرعيتين نحن مكلفون بحكمها وإن كانت لك شكوة على أحد من وطن فمرغوب منك أن تكاتبنا وترسل إلينا مكاتيبك على بسكرة وبعد الاصلاع عن ما تريده نعمل الحق إن شاء الله و سلام مني والمراد أن تبلغ البرية المورده عندك مع هذه من سعادة المعظم السيد الفوصو جنرال المتولي أمور فرانسة بتونس والسلام من كتب عن إذنه سعادة المعظم الأسعد السيد الجنرال ديمو حاكم الكبير من باتنه ونواحيها حرر في 3 جماد الأولى 1273.

ملحق 20 روندون إلى محمد باشا



إلى الحضرة العلية والسيادة السنية المعظم الأرفع حبيبنا الغبي السيد محمد باشا باي[1] صاحب المملكة التونسية بعد إهداء السلام والمحبة والإكرام مناسبة حضرتكم السعيدة [illegible] م لكم الله عزة وإحسانه أمسا بعد فقد ورد إلينا الأمر [illegible] لكم [illegible] به حضرتكم ومرحبا تهنيتكم لنا فيما أنعم علينا مولانا [illegible] الأعظم [illegible] بتولينا[2] رتبة مارشال ومهما أسرن في إظهار محبتكم [illegible] [illegible] [illegible] اختياركم فيحق للملوك أن يعتمدوا على من هو مثله وكم من شهادة مودة رأيناها من مملكتكم فقد دخل بيان محبتكم والمودة بين مملكة جزائر ومملكة [illegible] أحببكم وشرفتمونا بتعصيبكم [illegible] لمقرون أمور لسواء أن يمكم شكر [illegible] [illegible] صحبته فضلا عن عجز الكتاب وتحققكم غيبة [illegible] عليكم لنا غير واسطة سواه ودمتم بخير وعافية والسلام بأمر سعادة [illegible] المارشال روندون والي العمالات الجزائرية ووفقه الله [illegible] في [illegible]

[illegible] 1856

1 [illegible] 1856 [illegible]
2 [illegible]
3 [illegible]

A N T Dossier bis 384 , Cart 223

ملحق 21. حاكم عنابة إلى كاهية الكاف

الحمد لله وحده ولا شريك له في ملكه سبحانه

حفظ الله تعالى ومكرمه حضرة محبنا وعزيزنا الأجل المحترم المكرم سيد حمد بن ... فرق مير اللواء وآغا الكاف دام بخير بعد إهداكم كثير السلام وعليه الإكرام عسى تكونوا على خير وعافية يبه يكون معلوم عند محبكم بأن لي عندي حق المعرفة بالذين قتلوا المرحوم الكوبيل وهم أربعة أنفار لو سنة من حت حكمكم وهم معروفين عند الناس لأنهم لم خبر معهم بين ضهور الخوايج امتاع الكولونيل الذي من بعد ما قتلوه عروه إلى جميع الناس يفتخرو بفعلهم المكروه ومن حيث أن الدولتين متساويتين ومحبة واحدة وعافية أظن أن حضرتكم لا يحصل منكم قصور بل تعملوا غاية مجهودكم لأجل بأسرع وقت ترسلوا لي هذه الأربعة أنفار الذي قتلوا المرحوم الكوبيل ضعف وعدوانا ومن حيث أني كل يوم أنتقل من محل إلى محل آخر أرجوكم أن ترسلوا لي هذه الأربعة أنفار إلى سوق اهراس يوم الحد الذي هو ستة وعشرون من شهر أكتوبر وها أنا مرجا بما ذكر وعليكم السلام تمم من محبكم سعادة الجنرال بريكو حاكم بلاد عنابة وساير عمالتها نصره الله آمين 24 أكتوبر 1857[1]

1 سانه بريكو بن حاكم بكاه ... وق بعم

A N T Doss.2+8 , Cart 2 3

ملحق 22 حاكم عنابة إلى كاهية الكاف

الحمد لله وحده ولا شريك له في ملكه سبحانه

حضرة عزيزنا ومحبنا الأجل المحترم الأمثل الموقر المكرم السيد أحمد زروق ميرلواء وكاهية الكاف دام بعاه آمين

بعد السلام عليكم والرحمة والبركة بينه وصلني جوابكم المؤرخ في ربيع الأول عام 1274 (1857) وكامل شرحكم فهمته على شأن هذه الدعوة الكبيرة والعظيمة وهي من الكولونيل الفرنساوي بالخدع وبالخيانة في وسط تراب عين الأشبال[1] من جهة عمير فاعلموا أن لا يمكن أرتضي بكلام التحريض الذي جاوبتوني به في كتابكم ولا بالتطمين الذي هو مقبول من غير معنى بأنهم هربوا على أصحاب الدعوة فاعلموا أن هذه القتال (الآن) اعرفوا عندكم مثل ما أنهم انعرفوا عندي ليس هم مخبيين أرواحهم بل في وسط أعراشهم واحدين جريمة هذا المسكين الكولونيل الذي قتلوه وغروه ويتحسروا من الأعراش بعضهم لبعض ويطوفوا من محل إلى محل بافتخارهم بقتل مخليهم فيا سيدي أحمد زروق راني نكلمكم معاك كلام جد حقيقي وأرجوكم أن تجاوبوني كذلك بكلام جد من غير تحريض هل الذين قتلوا المرحوم احكموا وهل وحاكم تونس مراده أن يبقيها أحمد زروق حالا أم لا هذه هي الحاجة الذي أريد افهمها منكم وهذا هو الشيء الواجب على أن اطلبه منكم بالوجه الواضح الثابت الصريح من غير تخييل والسلام

كتب عن إذن الجنرال بوبكر حاكم بلاد عنابة وساير عمالتها نصره الله آمين 25 أكتوبر 1857[2]

1 قد يكون جبل الأشبال بالقرب من جبل سيدي أحمد على الحدود التونسية شرق مونده
2 رسالة حاكم عنابة إلى حاكم الكاف A.N.T. Dossier 248 Carton 2.3

حمد لله هذا تعريب ملخص مكتوب من [illegible] حاكم [illegible]

محظا به عدده [illegible] حاكم [illegible] مؤرخ بالسابع من سبتمبر

نوفمبر 1857 نص فيه

[illegible] علمت سيادتكم بمكتوبنا المؤرخ بالسابع والعشرين من شهر [illegible] قتل في التاسع عشر من شهر اكتوبر قرب [illegible] بعض العربان أن أصحاب هاته [illegible] بعض الأخبار الأخرى وعرفوني بعض أصحاب الجريمة المذكورة هما أحمد بن ناجر وبلقاسم بن ناجر وبالقاسم بن مصباح وأحمد بلعيب أخو بن مصباح وبوقرة بن علي داؤود والذي منهم [illegible] شارن وقد تحكموا على هاذين [illegible] بن عمران سيدي الصادق [illegible]

[illegible] أن عدد أولاد بوغانم وأن أحمد بلعيب فهو تحت أيديها ولكن مشاركته في هذه الوقعة فهي [illegible] وكذلك بوقرة بن علي الذي هو من عرش [illegible] سيدي [illegible]

[illegible]

[illegible] يكون في عنقه في هاته النازلة مجاوبة سي رزوق ما يقتضي نظره [illegible]

[illegible]

جنابكم ما يقع لنا من الجوابات الذي أرسلهم لنا سي رزوق المذكور وسيدي

1. أولاد [illegible]
2. أولاد بوغانم من رعايا تونس

ملحق 23. ديفو إلى رونلون

الصادق باي ولم يظهر في أن يتسر (كذا) ما أخذ الثوار بالسلاح من عدد
عنه كريهة ... الكومسير ولكن لا بد ان الوزير أمور الترابية
جرص عنه حرص يمنع حكم الشديد على أصحاب الحركة

وأن قبل لامس وسوء نية الدولة التونسية قد بانت مرة أخرى في هذا
... عالباي سيدي الصادق ... (كذا) ... ما اقتصاد مقصود في حالة
مدة ولم يذكر ... كلمة من ذلك قط وفي الحال في عمنا أنه عزاي عمي
. من عرش شرب سدي وحدو ... شاشية الكومسير والعاكية
وقد نقص جميع عرش شرب ولا ... يظهر لنا من الباي مثل ما صار سابقا ما
نقمه لاعتداء أو عدم الاقتدار واليوم نحو ثمانية عشر شهر أن الأشرار الذين التمو
رجلا من الفرانسوية صاحب الكاندة الكاذبة في أم الأرنب فهم بين الأ
... بالكاف أو ... وهما جزيريين والناس كلهم يعرفوهم ...
الدولة التونسية في ... من ذا شيء أبدا فيا هل ترى هذا نوع من
تحريض في قتل الكومسير وما فعلت الدولة التونسية في شأن الناصر بن
شورة الذي هو لازال في قبة عمالتنا مشتغل بالفساد والتشويش وغير ذلك
فهو جهاد تحت حماية قايد الجريد (الجريد) وقبله عند بمطة وربما هو
... المذكور أن الأرض وغير على عرباننا الآن نحو شهرين حتى وصل
العويبة) ... وبعيد عن الحدادة ثماه ... وكذلك التعلل أيضا في
شأن محمد بوعلاق[2] وفي شأن جميع المتسببين في البارود وفي جميع جموع ()
... أتو في الشهر الفارط لأرض بني صالح وفعلوا ما فعلوا من النهب والقتل

1 هو محمد بن يومي معروف بناصر بن شهرة
2 محمد بوعلاق هو ... أولاد يعقوب أحد الذين ثاروا ضد السلطة ...

... في شأن التعدي وقطاع الطرقات الذين يتوجهون من ... حتى
الكاف ويبيعوا ما سرقوا ونهبوا من بلادنا ولا يجدا على السيادة ...
حضرة باي تونس لازال مستمرا على سياسته هذه بسخداده لأشك ... يقع
المشك وعروشا من ناحية القبلة لا يمكن لهم صبر ... من ... عنهم
يباحم من النهب (والشنة) بل ربما يأخذون ثأرهم ويرجعون بين ... عند كم
الفساد الذي قد صعب علينا عدمها ... الصعب بسبب جميع ...
... طلب الحرص في تسليم قتل الكومسير ويصعب ... دون
... رها في المستقبل وقوع نوازل مثل هذه الذي ينتج منها ...

المصادر والمراجع المعتمدة

• سورة النور الآية 43

• ابن اشنهو عبد اللطيف، تكون التخلف في الجزائر ش. و. ن. ت. الجزائر 1979

• بورويبة، رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية [illegible] ش. و. ن. ت. الجزائر 1979

• التميمي، عبد الجليل

• 1 – "معاهدة حماية التونسية على وهران 1831"، المجلة التاريخية المغربية [illegible] تونس 1976، ص-ص 5 — 19

• 2 – "تقرير عن الأحداث السياسية بتونس خلال العشرين سنة التالية: 1838 — 1858"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 2، تونس 1974، ص — ص. 103 — 117

• 3 – بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ط. 1، الدار التونسية للنشر، تونس 1972

• 4 – "نعيم القسنطيني"، "المجلة التاريخية المغربية"، عدد 2، تونس 1974، ص — ص. 89 — 92

• جنحني، الحبيب، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي"، الأصالة، عدد 16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1973، ص — ص 23 — 36

• حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط. 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس 373هـ.

• ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، دار الكتاب اللبناني ط 3، بيروت

• ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس 96،

• رشاد، الإمام، سياسة حموده باشا في تونس (1782–1814)، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980

• سعيدوني، ناصر الدين، [illegible] في تاريخ الجزائر [illegible]، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985

• صلاح، العقاد، المغرب العربي، ط. 3، مكتبة الأنجلو المصرية

[illegible]

• ابن أبي الضياف، أحمد،

• 1 – إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 3، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1963

• إتحاف أهل الزمان، تحقيق أحمد عبد السلام، الباب السادس، تونس 1971

• [illegible] ج. 5، 6، منشورات الجامعة التونسية، تونس 964

• ابن [illegible] العربي محي الدين [illegible] ط 1، (دون البلد)، 1948

• عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر ترجمة جوزيف عبد الله، ط 1، الحداثة، بيروت 1983

• عميراوي احميدة، [illegible] 984

• فيرو شارل، الحوليات الليبية، ترجمة، محمد بن عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني، ليبيا، 1973

• أبو القاسم، سعد الله

• 1 –، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998

• 2 –، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 4، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 998

• كلود، رافستان، "عناصر نظرية في الحدود"، ديوجين، العدد 78، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة 1988

• لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، الفارابي، ط 7، بيروت 980

• محمد بيرم الخامس، المطر التونسي في صفوة الاعـ [illegible]
حكمة، تونس 983
• معاشي، جميلة، لأسر الحاكمة بايلك الشرق، ماجستير، معهد العلوم [illegible]
جامعة قسنطينة [illegible]
• محمد بن محمد بن عبد [illegible] [illegible]
العرب الإسلامي، ط، ا، بيروت 1976
• ميمي، مبارك، تاريخ الجزائر القديم، ج 3 [illegible]
• محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد ا[illegible]
، مطبعة التجارية، الإسكندرية 903
• المدني، أحمد توفيق، " أخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبـــد القـــادر".
[illegible]
• محمد المرزوقي [illegible] تونـــس 1973، ص
[illegible] سنية لعام 1905)
• يحي بوعزيز،
• 1 –، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ش .و .ن .ت. الجزائـــر، الـــد
عربية للكتاب تونس 983
• 2– "وثائق جديدة عن ثورة ابن ناصر بن شهرة (1851 — 1875)" [illegible]
3، الجزائر 1976، ص 39 وما بعدها
• 3 – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب،
الجزائر 986

[illegible] 504
[illegible]
[illegible]

[illegible]dir, «Les ordres religieux et la conquête française », in Revue [des] sciences juridiques, économiques et politiques, vol. I, n° 4, [19]72, p.p. 81[illegible] - 872
[illegible] Rousseau, Les Annales tunisiennes, 2è édi Bouslama, Tunis

• [illegible]
• [illegible] structure sociale et pouvoir politique de Constantine sous les [illegible] Fac. de droit et des sciences po. Aix-en-Provence, France
• [illegible]
• [illegible]
• [illegible], Les [illegible] nationales de l'Algérie S.N.E.D
• [illegible]
• « Hammuda Pacha bey et l'affermissement de l'autonomie tunisienne », Les Africains, t. 7, édi. Jeune Afrique, Paris 1977, p.p. 103 - 127

• 2 -« Expansion européenne et diff. tunisiennes 1815 — 1830 », in Annales E. S. C. mai – juillet 1970.

• **Cour** (A.), « Recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes », in R.A. 1862, p- p. 291-334.

• **Carzet** (J.), Les confréries religieuses musulmanes en Algérie Alger 1959.
• Dardour (H.), Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, S.N.E.D, Alger 1982

• **Esquer** (G.), Corresp. du général. Clauzel, (1835 - 1837), t. 1, Larose, Paris 1948

• **Esterchazy** (W.), Domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger Goussin, Paris 1840.
• **Féraud** (Ch.),
• 1 - Les interprètes de l'armée d'Afrique, Alger 1878
• 2 - Notices Historiques sur les tribus de la province de Constantine, Arnolet Constantine 1869.
• 3 - « Les Harar seigneur des Hanancha », in R.A. 1874
• 4 - Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunisie, Arnolet, Constantine 1886
• 5 - « Notice sur Tebessa », in R.A., 1874, p. 449, 456.
• 6 - (Ch.), «notes historiques sur la province de Constantine les Ben-Djellab, Sultans de Touggurt », in R.A., 1882, p-p. 361-386
• **Gouvion** (M.), et, Edouard, Kitab Ayan El Magharibá, Alger 1920.
• **Grammont** (H. de), Hist. de l'Algérie sous la domination Turque (1515-1830), Ernest, L. Paris 1887
• **Hamdan** (B. O. K.), Le Miroir, traduit de l'Arabe par H.D.Goetschy, Paris 1833
• **Julien** (Ch.), Hist. de l'Algérie, P.U.F. Paris 1964
• **Khelifa Chater**, Description et mutations précoloniales, la Régence de Tunisie de 1815-1857, publication de l'Université de Tunis 1984
• **Mohammed** (S. B. Y.), Chronique Tunisienne, tr. par Victor (S.), et, Lasram, éd. Bouslama, Tunis 1978
• **Murati**, "Le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tebessa "in Recueil 1936- 1937, Société de préhistoire et d'archéologie de Tebessa, Baconnier, Alger 1839, p- p. 267 - 279.
• **Marcel** (E.), « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », in Information historique, nov-dec. 1952
• **Mercier** (J.), Etude sur les confréries des Khouans de Sidi Abd El kader El Djilani, Challanel, Paris 1863.
• **Maurice Constantin**, La vie du général Yusuf, Gallimard, Paris 1930.

• **EL -Makhtar Bey**, Du rôle de la dynastie husseinite dans la naissance et le développement de la Tunisie Moderne, thèse pour le doct. en droit. Faculté de droit et des sciences économiques, t. 2, Paris4, 1968

• **Neveu** (F. DE.), Les Khouans ordres religieux chez les musulmans d'Alger Jourdan 1913.
• **Noushi (A.)**,
• 1 Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'à 1919, Paris 1961
• 2- Sur le féodalisme, Cahier du C.E.R.M. éd., sociale, 1974.
• **Nettement** (A.), Hist. de la conquête d'Alger, le coffre ,J. Paris 1856
• **Peyssonnel**, et, Desfontaines, Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger Gide, Paris 1838
• **Pellissier** (R. de), Annales algériennes, t. 3., Dumaine, Paris 1854
• **Perrot**, Alger esquisse topographique et historique du royaume et de la ville d'Alger, Paris 1830
• **Pellissier de Reynaud**, Description de la Régence de Tunis Imp. Impériale, Paris 1853.
• **Pouyanne**, La propriété foncière en Algérie, Jourdan, Alger 1900
• **Rinn** (L.), Marabouts et khouans, Jourdan, Alger 1884.
• **Raymond** (A.), «les caractéristiques d'une ville arabe moyenne » au 18[e] siècle: le cas de Constantine », C.T., n o 137-138, Faculté des lettres et sciences humaines Tunis 1986, p-p. 175-195.
• **Sadok** (Z.), Les précurseurs, 2è'éd. Bouslama, Tunis 1979
• **Shaw** (docteur), Voyage dans la Régence d'Alger, tra. de l'Anglais par Mac Carthy, Paris 1830.
• **Temimi** (A.), Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), R.H.M. Tunisie 1978.
• **Warnier**, et, Carette (A.E. Hyppolyte), Description et division de l'Algérie Hachette, Paris 1847
• **Yacono** (X.),"Peut-on évaluer la population de l'Algérie vers 1830", in, R.A. année 1954, p-p. 277-307.
• (?), Commerce de l'Afrique avec la Mecque et le Soudan, Paris 1849.

فهرس الملاحق

فهرس المحتويات

